الفصل الثالث

محاورات طور الاستقلال والتجديد

أولا : فى الفلسفة

On Philosophy

فى الفلسفة

On Philosophy

كتب أرسطو محاورة فى الفلسفة وهو فى قمة نضوجه الفكرى والفلسفى ، ولذلك تبدو آراء أرسطو المذهبية واضحة تماما ومستقلة عن آراء أستاذه أفلاطون بل وأحيانا متعارضة ، ومن جملة ما تتميز به هذه المحاورة عن مثيلاتها أن نجد أرسطو هو المتحدث بشكل صريح فيها ، كما أنه أيضا لأول مرة يوجه الانتقاد إلى آراء أفلاطون المذهبية .

..... فى الكتاب الثالث من عمل أرسطو فى الفلسفة [1].

تمهيد

لقد استخلصنا موادنا ووضعناها معا من عمل أفلاطون ثيمايوس .. ومن أعمال أرسطو ؛ الطبيعة ، والسماء ، والكون والفساد ، والآثار العلوية ، والنوم ، ومما كتبه على شكل محاورة فى الفلسفة وعن العالم [2].

عن المبادئ الأولى يقول أرسطو : إننا قد تحدثنا بشأنها فى عملنا عن الطبيعة ، ووعد أن يتحدث عن هذه الأمور فى الكتاب a (فى عمله ما بعد الطبيعة) وأن يطرح المشكلات بشأنها ويحلها فى العمل فى الفلسفة [3].

-١-

من بين النقوش فى معبد دلفى التى كان يعتقد أنها أكثر الهاما نقش " اعرف نفسك " . إن هذا كما قال أرسطو فى أعماله الأفلاطونية (المحاورات)هو الذى أحدث فى سقراط هذه المزاجية من الشك والارتياب [4].

---

[1] Ross, the Works of Aristotle,XII,P.78.
[2] Ibid,P.78.
[3] Ibid,P.78.
[4] Plutarch,Moralia,XIV,P.257;And See Also : Ross, Op.Cit,p.78.

-٢-

يقول أرسطو إن سقراط ذهب إلى دلفى ، كما ذهب أيضا إلى استموس Isthmus ، وذلك برواية فافورينوس Favorinus فى الكتاب الأول من عمله Memoirs [١].

-٣-

ما ولمن الأمر المقدس فى دلفى ، والذى يأمر من يلتمس أى شىء من الإله كى يعرف نفسه؟ سواء كان فيمونوى phemonoe أو فانوثيا Phanothea .. أو بياز Bias أو طاليس أو شيلون Chilon هو الذى وضعه .. أو ما إذا كان ينبغى علينا أن ننسبه إلى كليرخوس Clearchus الذى قال إن الأمر كان للكاهن البثينى وقد صدر إلى شيلون عندما استفسر عن أفضل ما يمكن أن يتعلمه الرجال ؛ أو ما إذا كان قد نقش بالفعل قبل عصر شيلون فى المعبد الذى تأسس بعد معبد الريش ومعبد البرونز ؛ كما قال ذلك أرسطو فى عمله فى الفلسفة [٢].

لقد نسب البعض مقولة " اعرف نفسك " إلى شيلون ، بينما ينسبها شامليون Chameleon فى عمله عن الآلهة إلى طاليس بينما ينسبها أرسطو إلى كاهنة بيثيا [٣].

-٤-

مرة أخرى تنسب مقولة " لا شىء فى زيادة إلى تشيلون اللاكيدامونى .. ووردت مقولة "ارتهن نفسك ينتظرك الدمار " على لسان كلومينيس فى عمله عن هزيود ، بينما تنسبها الرواية الأرسطية إلى شيلون بينما ينسب ديديموس Didymus النصيحة إلى طاليس [٤].

-٥-

الإنسان الكامل هو الذى يمارس السفسطة ؛ ولكن أرسطو يستخدمها للحكماء السبعة [٥].

---

[1] Diogenes Laertius,Lives of Eminent Philosophers,1,P.155;And See Also : Ross,Op.Cit.p.78.
[2] Ross,Op.Cit,pp.78,79.
[3] Ibid,P.79.
[4] Ibid,P.79.
[5]Ibid,P.79.
الرجال الذين كانوا يعرفون بالحكماء هم " طاليس وصولون وبيرياندر Periander وكليوبولس Cleabulus وشليون وبياز وبتاكوس . وقد أضيف إلى هؤلاء أنخارسس Anacharsis السثيانى وميسون الخيوسى وغيرهم
See : Diogenes Laertius,Op.Cit,P.15.

-٦-

يقول أرسطو في كتابه الأول من عمله في الفلسفة إن المجوس أكثر قدما من المصريين ، وأنه استناداً إليهم يوجد مبدآن أولان ، روح طيبة وروح شريرة ، إحداهما تسمى زيوس Zeus وأوروما سديس Dromasdes والثانية هاديس Hades وأريمانيوس Areimanius [١].

مما لاشك فيه أن فن السحر قد بدأه زرادشت في فارس ، وقد اتفقت المصادر على ذلك ، ولكن ليس من الواضح تماما إذا ما كان يوجد زرادشت واحد أم أنه يوجد زرادشت آخر . يروى يدوكسوس Eudoxus الذى يزعم أن الزرادشتية أكثر الطوائف الفلسفية وضوحا ونفعية أن زرادشت هذا قد عاش ستة آلاف سنة قبل وفاة أفلاطون ؛ ويتفق أرسطو مع ذلك [٢].

من الكواكب التى يطلقون عليها اسم آلهة الميلاد يصف الكلدانيون Chaldaeans اثنين منها بأنهما يجلبان النفع واثنين بأنهما يجلبان الشر والأذى والثلاثة الآخرين بأنهم في حالة وسطية ومحايدة [٣] . ويسمى أرسطو الأول شكل والثانى حرمان [٤].

-٧-

يقول أرسطو " سميت هكذا " لأنه من المعتقد أن القصائد ليست من عمل أورفيوس ؛ مثلما يؤكد أرسطو نفسه ذلك لأمر في كتبه في الفلسفة ؛ بأن الأفكار والآراء لأورفيوس ، ولكن يقال أن أونوماكريتوس Onomacritus هو الذى نظمها شعرا [٥].

يقول أرسطو أن الشاعر أورفيوس لم يكن له وجود ، وينسب الفيثاغوريون هذه القصيدة الأورفية إلى شخص يدعى سيركون Cercon [٦] .

---

[1] Diogenes , Op.Cit,P.11;And see Also : Ross,Op.Cit.p.79 .
[2] Ross,Op.Cit,PP.79,80.
[3] Plutarch,Moralia,V,P.117;And see Also : Ross,Op.Cit,P.80.
[4] Plutarch,Op.Cit,119 .
[5] Ibid.,p.119.
[6] Cicero,De Natura Deorum Academica, P105; And See Also : Ross,Op.Cit,p.80..

إذا كان القول المأثور فى واقع الأمر شيئا حكيما ؛ فلماذا إذا لا تكون هذه الأشياء حكيمة وهى التى يصفها أرسطو بأنها آثار باقية قد حفظت بسبب دقتها ومهارتها بينما هلكت الفلسفة القديمة فى الدمار الواسع النطاق للبشرية [1].

سميت الحكمة هكذا لكونها نوعا من الوضوح ، حيث إنها تجعل كل الأشياء واضحة ، هذا الوضوح كما لو كان شيئا مضيئا قد اكتسب اسمه من الضوء ؛ لأنه يأتى بالأشياء الخفية إلى النور. ولذلك فإنه كما يقول أرسطو : إن الأشياء الجلية والمقدسة مع أنها قد تكون أكثر وضوحا بطبيعتها الخاصة ، فإنها تبدو لنا مظلمة ومعتمة وذلك بسبب ظلمة الجسد التى تخيم علينا ، وكان من الطبيعى أن يطلق الناس اسم الحكمة على ذلك النوع من المعرفة الذى يخرج هذه الأمور إلى النور. ولكن بما أننا نستخدم كلمتى حكمة وحكيم بشكل عام ، فلابد من إدراك أن هاتين الكلمتين مبهمتان؛ تناولهما القدماء بخمسة طرق أشار أرسطو إليها فى كتبه العشرة " فى الفلسفة " عليك أن تعرف أن الرجال يهلكون بأساليب متنوعة بالأوبئة والمجاعات والزلازل والحروب وأمراض متنوعة وبأسباب مختلفة أخرى . ولكن علاوة على ذلك عن طريق جوائح أكثر شدة ، مثال ما يقال أنه حدث فى عصر ديوكاليون **Deucalion** ؛ إنها كانت جائحة داهمة ولكنها لم تكن الأشد على الإطلاق . وذلك لأن الرعاة وأولئك الذين يمارسون أعمالهم فى الجبال وعلى سفوح التلال كانوا فى مأمن بينما هلكت السهول بسكانها . ولذلك فإنهم يقولون على الأقل أن داردانوس **Dardanus** قد جرفه الفيضان من ساموثراس إلى ما سمى بعد ذلك طروادة [2] ، وهكذا تم إنقاذه . إن هؤلاء الذين نجوا من المياه لابد أنهم عاشوا على النجاد ، مثلما يبين الشاعر عندما يقول : أولا أنجب زيوس جامع السحاب ابنه داردانوس وأنشأ داردانيا **Dardania** لأنه حتى ذلك الوقت لم تكن إيلوس **Ilios** المقدسة قد بنيت على السهل لتكون مدينة للفانين من الرجال ولكنهم كانوا لا يزالون يسكنون منحدرات إيدا **Ida** ذات الينابيع . إن كلمة لا يزالون توضح أنه لم تكن لديهم حتى ذلك الوقت

---

[1] Ross, Op.Cit.p.80.

[2] عن هذه الأسطورة أنظر :

See : The Oxford classical dictionary,P.313.

الشجاعة لكى يعيشوا فى السهول . هؤلاء الناجون الذين لم تكن لديهم حينئذ مقومات المعيشة قد اضطرتهم الضرورة إلى التفكير فى وسائل نافعة – طحن القمح وبذر البذور وما شابه ذلك – وأطلقوا اسم الحكمة على ذلك الفكر ، الفكر الذى كشف عما كان نافعا لضرورات الحياة ، و أطلقوا اسم حكيم على أى فرد كان لديه مثل هذه الأفكار . مرة أخرى كما يقول الشاعر ابتكروا الفنون بتحريض من أثينا – وهى فنون ليست مقصورة على ضروريات الحياة ، ولكنها انصرفت إلى إنتاج الجمال والأناقة . وهذا أيضا أطلق عليه الرجال " حكمة " وعلى مكتشفه " حكيم " ، كما فى العبارة " صاغها فنان حكيم " تعلمها جيدا من تلقين أثينا للحكمة لأنه بسبب تميز الاكتشافات فإنهم ينسبون فكرة هذه الأشياء إلى الاله . مرة أخرى وجهوا اهتمامهم للسياسة وابتكروا القوانين وكل الأمور التى من شأنها أن توحد الدولة . وهذا الفكر أسموه أيضا حكمة ، ولذلك كان هناك الحكماء السبعة – وهم رجال نالوا الحكمة السياسية . ثم ذهبوا أبعد من ذلك وتقدموا نحو الأجساد نفسها والطبيعة التى تشكلها وقد أطلقوا على ذلك اسم العلم الطبيعى والذى نصف أصحابه بأنهم حكماء فى شئون الطبيعة . خامسا يطلق الناس لفظ الحكيم أيضا على الأشياء السماوية العلوية التى لا تتغير بتاتا ، وأطلقوا على معرفة هذه الأشياء اسم الحكمة السامية [1].

-٩-

يقول البعض إن الحركة قائمة موجودة ، وينكر البعض ذلك ... وهم أتباع بارمينديس وميلسيوس الذين أطلق عليهم أرسطو الجامدين والمفكرين غير الطبيعيين – جامدون لأنهم يدعون بعدم تحرك الوجود وجموده ، وغير طبيعيين لأن الطبيعة هى مصدر الحركة ، وهم بقولهم أنه لا شىء يتحرك ينكرون وجود الطبيعة [2].

-١٠-

يبدو كما لو كان لا يوجد ثمة شىء عند أفلاطون ينكره أرسطو إنكاره لنظرية المثل ، ليس فى كتاباته المنطقية فقط .. ولكن أيضا فى كتاباته الأخلاقية والطبيعية .. وبشكل أكثر فى عمله ما

---

[1] Ross,The Works of Aristotle, XII,PP.80-82.
[2] Ibid,P.82.

بعد الطبيعة .. وفى محاوراته حيث يؤكد بوضوح شديد أنه لا يمكن أن يتفق مع هذا المذهب حتى إذا عرض نفسه علانية للاتهام بأن يعارضها بدافع من حب الجدل والمناظرة [1].

-١١-

أعلن أرسطو أنه لم يقل شيئا ضد فروض الأفلاطونيين وفشل تماما فى أن يساير مذهب الأعداد النموذجية إذا ما كانت مختلفة عن الأعداد الحسابية . ويتضح ذلك من خلال الكلمات التالية التى وردت فى الكتاب الثانى من عمله فى الفلسفة : " وهكذا إذا كانت المثل نوعا مختلفا من الأعداد وليست أعدادا حسابية فإننا لا نستطيع فهمها وعلى كل حال فمن من بين أغلبيتنا الذى يعرف أية أعداد أخرى ؟ ومن ثم فإنه فى الواقع قد وجه تفنيده إلى الجمهور الذى لا يعرف أية أعداد أخرى غير تلك التى تتألف من وحدات ، ولم تبدأ فى استهواء فكر هؤلاء المفكرين الربانيين [2].

فند أرسطو العقيدة الأفلاطونية ، والتى ذكرها فى عمله فى الفلسفة ، رغبة منه فى أن تقتصر الحقائق (التى يعنيها دائما بالجواهر) على المبادئ الأولى التى يفترضونها (الكبرى والصغرى التى يسمونها الزوج الغير محدد) يقولون إن المبادئ الأولى للطول كانت القصر والطول، بافتراض أن الطول يأخذ أصله من طويل وقصير ، بمعنى من كبير وصغير أو أى خط يقع تحت أيهما . وأن المبادئ الأولى للسطح المستو كانت الضيق والاتساع ، التى هى نفسها أيضا كبير وصغير [3].

بالأسلوب نفسه صور أفلاطون الروح فى محاورة تيمايوس فى صورة تتفق وميوله ، ذلك لأنه يعتقد بأن الشبيه يعرف بالشبيه وأن الأشياء قد صورت من المبادئ أو العناصر . نفس الشىء أيضا فى عمله فى الفلسفة أن الحيوان نفسه يتلون من مثال الشىء ذاته للواحد الطول والعرض والعمق الأساسيين وعلى نفس المنوال يتكون كل شىء . مرة أخرى فإنه يضع رؤيته بمصطلحات أخرى : العقل هو الجوهر الفرد والمعرفة هى الزوج (وذلك لأنها تسير بلا انحراف من نقطة إلى أخرى) والرأى هو رقم المسطح والشعور هو رقم المجسم [4].

---

[1] Plutarch,Op.cit,P.261;And See Also :Ross,Op.Cit.p.82.
[2] Ross, Op.Cit,PP.82,83.
[3] Ibid., P.83.
[4] Ibid .,p.83

يستخدم أرسطو الآن اسم فى الفلسفة لعمله (عن الخير) (المأخوذ عن محاضرات أفلاطون) التى يروى فيها كلا من آراء الفيثاغورين وأفلاطون عن الحقيقة[1] .

إنهم جميعا لم يطرحوا مبدأ الواحد بنفس الأسلوب . قال البعض إن الأعداد نفسها قد طرحت الأشكال أو الصور فى أحواز مكانية ضخمة ، فالعدد ٢ يمثل الخط والعدد ٣ يمثل المسطح والعدد ٤ للمجسم (يروى أرسطو هذا عن أفلاطون فى عمل فى الفلسفة ، وهذا هو السبب فى أنه يلخص هنا باختصار وإيجاز نظرية الأفلاطونيين) . بينما فسر آخرون شكل الحيز المكانى عن طريق مشاركة الواحد [2].

-١٢ أ-

اعتاد أرسطو القول إن فكرة البشر عن الآلهة نبعت من مصدرين – تجارب الروح وظواهر السماوات . فهو ينسب إلى تجارب الروح قدرتها على الإلهام والتنبؤ فى الأحلام . وذلك لأنه ــ كما يقول ــ عندما تنعزل الروح أثناء النوم ، فإنها تؤدى العمل بطبيعتها الحقيقية وتتوقع وتتنبأ بالمستقبل . وهكذا يكون الحال مع الروح لدى انفصالها عن الجسد لحظة الموت . وعلى كل حال يتفق أرسطو مع رأى هومر الذى لاحظ هنا الأمر أيضا لأن هومر قد صور باتروكلوس Patroclus فى لحظة موته بأنه يتنبأ بوفاة هكتور Hector ، وأن – هكتور لحظة وفاته يتنبأ بنهاية أخيلوس. وأنه من واقع تلك الأحداث ــ كما يقول ــ تشكك البشر فى وجود بعض الأشياء السماوية ، مما هو فى طبيعته وثيق الصلة بالروح ، وكل الأشياء الخاصة بالمعرفة . وقد أسهمت الأجسام السماوية أيضا فى هذا الاعتقاد ؛ فلما رأوا الشمس نهارا تجرى فى مسارها الدائرى والكواكب تسير فى حركتها المنتظمة ليلا اعتقدوا فى وجود إله يسبب لتلك الحركة وذلك النظام . وهذا هو اعتقاد أرسطو [3].

ولذلك فعندما حرر النوم العقل من قيود الجماعة ومن الاتصال بالجسد ، فإنه يتذكر الماضى، ويميز الحاضر ويتنبأ بالمستقبل ذلك لأن جسد النائم يرقد مثل جسد المتوفى ولكن يظل عقله فاعلا

---

[1] Ross,Op.Cit,PP.83,84.
[2] Ibid, P.84.
[3] Ibid,P.84.

وحيا .. ولذلك عندما يقترب الموت يكون العقل أكثر ربوبية .. لأن الرجال المتوفين لـديهم معرفـة مسبقة ، يؤكد ذلك بوسيدونيوس بالمثال الذى يورده .. مثال آخر لذلك هو هيكتور الذى قال عنـه هومر بأنه أعلن عند وفاته عن قرب وفاة أخيلوس [1].

-١٢ ب-

يقول البعض إن أصل فكر الآلهة يتبدى لنا عندما نتأمل حركة الأجرام السماوية التى لا يختل انضباطها ولا نظامها الدقيق ذلك لأنه إذا جلس شخص على جبل إيدا Ida الطروادى ورأى صفوف اليونانيين تقترب من السهول فى نظام وترتيب جيد ، الفرسان أولا مع الجياد والعربات الحربية ومن خلفهم المشاة ، فإن هذا الشخص سيصل بالتأكيد إلى الاعتقاد بأن هناك شخصا ما قام بترتيب تلـك الصفوف ويقود الجنود الذين يعملون تحت قيادته ، نستور أو أى بطل آخر هو الذى عـرف كيـف ينظم الجياد ويوفر الحماية للمحاربين . فكما أن المرء الذى له دراية بالسفن يدرك بمجرد رؤيتـه لسفينه مبحرة تسابق الريح بأشرعتها الجيدة أنه يوجد بها شخص يديرها يوجههـا إلـى موانيهـا المحددة ولذلك فإن أولئك الذين نظروا أولا إلى السماء وشاهدوا الشمس تجرى فى مسـتقرها منـذ شروقها إلى غروبها ، ومسارات النجوم المنتظمة ، بحثوا عن فنان هذا التصميم الرائـع وخمنـوا بحدسهم بأن ذلك لم يأت مصادفة ولكن بفعل فاعل طبيعته أكثر قوة وخلودا ، هى قوة الاله [2].

-١٣-

كم هى عظيمة مقولة أرسطو لنفرض أنه كان هناك رجال قد عاشوا دائما تحـت الأرض ، فى منازل مريحة وجيدة الإضاءة ، مزينة بالصور والتماثيل ، ومؤثثه بكل شىء من شأنه أن يـوفر لهم السعادة . ولنفترض رغم ذلك أنهم لم ينتقلوا أبدا إلى فوق الأرض ولكنه علموا مـن الأقاويـل والإشاعات بأن هناك سلطة وقوة سماوية . لنفترض بعد ذلك وفى وقت ما أن انشق سـطح الأرض وانفتح وكانوا قادرين على الهرب وأن يشقوا طريقهم من تلك المنازل الخفية إلى تلك الأقاليم التـى نسكنها . وعندما يرون فجأة الأرض والبحار والسماء ، وعندما يتعرفون على عظمة السحاب وقوة

---

[1] Cicero,XX,De Senectute, De Amicitia ,De Divination, P.295.
And See Also : Ross,Op.Cit,PP.84,85.
[2] Ross, Op.Cit,P.85.

الرياح ، وعندما يرون الشمس ويعلمون عظمتها وجمالها والقوة الواضحة فى ملئها السماء بالنور وإخراجها النهار ، وكذا عندما يخيم الليل بظلامه على الأراضى ويرون السماء كلها منقوشة ومزدانة بالنجوم ، والمراحل المتغيرة لأضواء القمر عندما تزداد وتضعف ، وشروق وغروب كل هذه الأجسام ومسارتها الثابتة المستقرة أبد الدهر ، عندما يرون كل هذه الأشياء فإنه من المؤكد أنهم سيحكمون بأنه توجد آلهة ، وأن هذه الأعمال العظيمة هى أعمال الآلهة . إلى هذا الحد ذهب أرسطو [1].

استفسر المفكرون الأوائل كيف وصل بنا الحال لنتعرف على الإله . بعد ذلك قال أعظم الفلاسفة أننا قد تعرفنا على علة ذلك من العالم بكل مافيه من أجزاء وقوى كامنة . إذا رأى إنسان منزل مفروش بعناية ذو مداخل وصفوف أعمدة ومساكن للرجال ومساكن للنساء وكل الملحقات الأخرى فإنه سيكتسب فكرة عن المهندس المعمارى تجعله يدرك بأنه لم يكن لذلك المنزل أن يكتمل دون فن الحرفى الماهر . وذلك أيضا مع أى مدينة أو سفينة أو أى بناء صغيرا كان أم كبيرا . وهكذا أيضا إذا أتى إنسان إلى هذا العالم كما لو أتى إلى منزل شاسع أو مدينة مترامية ورأى السماوات تدور فى دائرة وتحتوى على كل الأشياء التى بداخلها ، الكواكب والنجوم السيارة المتحركة بتناسق وأسلوب منظم ومتناغم من أجل صالح الجميع ، الأرض تحتل منتصف الأقليم ، بينها جدأول الماء والهواء وأشياء أخرى تنبض بالحياة ، فانية وخالدة ، مجموعات متباينة من النباتات والمحاصيل فإنه سوف يدرك بالتأكيد أن هذه الأشياء لا يمكن ابتداعها بدون مهارة فائقة ، وأنه بالتأ كيد كان للكون بديع ولم يزل هو الاله . هؤلاء الذين يفكرون هكذا يدركون الاله من ظله كما يتعرفون على الفنان من أعماله[2] .

-١٤-

لقد أبدع أرسطو حين قال : بأنه لا ينبغى أن نكون أكثر تواضعا فى أى مجال إلا فى أمور الدين فإذا هيئنا أنفسنا قبل دخول المعابد .. فكيف يكون حالنا عندما نناقش أمور النجوم والأبراج

---

[1] Cicero,XIX,De Natura Deorum Academica,pp.215,217 .
And See Also : Ross,Op.Cit,PP.85,86; Ferguson, Aristotle,P.29.
[2] Ross, OP.Cit,P.86.

وطبيعة الآلهة لكى ينحدر قول أى شىء متهور وغير حكيم سواء كان ذلك عن غير علم بمصداقيته أو عن علم بزيفه [1].

-١٥-

كما يدعى أرسطو أن أولئك الذين دخلوا فى الطقوس السرية لا يتطلب منهم أن يتعلموا أى شىء بل أن يتعرضوا لبعض التغيير ، بأن يوضعوا فى ظرف معين بمعنى أن يكون متناسبا مع بعض الأغراض [2].

تعهدت بأن أعلمك ما تعلمته أنا وليس ما قد خبرته .. الأول مسألة تدريس والآخر مسألة الخبرة الروحية . الأولى تصل إلى الرجال عن طريق السمع والثانية تأتى عندما يجرب العقل التنوير بذاته – والذى يصفه أرسطو بأنه غامض ووثيق الصلة بالطقوس الأليوسينية (لأن الذى يلتحق بهذه الطقوس السرية يتم تأهيله (قولبته) ولم يتم تعليمه [3].

-١٦-

يتحدث أرسطو عن ذلك فى عمل فى الفلسفة . بصفة عامة حيثما يوجد أفضل فهناك الأفضل. ولذلك فمن بين الأشياء الموجودة فإن إحداها أفضل من الآخر وهناك أيضا الشىء الأفضل وهو الشىء السماوى . والآن فإن ما يتغير ، فإنه يتغير إما بشىء آخر أو بنفسه فإذا تغير بشىء آخر فقد يكون بشىء أفضل منه أو أسوأ ، وإذا تغير بنفسه كان ذلك إما إلى شىء أسوأ منه أو من خلال الرغبة فى شىء أفضل ؛ ولكن السماوى ليس لديه شىء أفضل من ذاته قد يتغير بموجبه (لأن ذلك الآخر يكون حينئذ أكثر ألوهية . ومن ناحية أخرى ليس من المشروع أن يتغير الأفضل بفعل الأسوأ بالإضافة إلى ذلك فإذا تغير بشىء أسوأ فإنه يكون قد سمح ببعض الشر فى ذاته ، ولكن لا يوجد شىء شرير فيه من ناحية أخرى فإنه لم يغير ذاته من خلال الرغبة فى شىء أفضل ، طالما أنه لا يفتقر إلى شىء من تميزه كما أنه لا يغير ذاته إلى الأسوأ ، فحتى الإنسان لا يغير نفسه

---

[1] Ross, Op.Cit,P.87.
[2] Ibid.,p.87 .
[3] Ibid.,p.87 .

طواعية إلى الأسوأ . كما لا يوجد به شيء سيىء قد يكتسبه وقد اقتبس أرسطو هذا الدليل أيضا من الكتاب الثانى من عمل أفلاطون الجمهورية .

-١٧-

ينسب إلى أرسطو ما يلى : إنه يوجد إما مبدأ أول واحد أو العديد من المبادئ . فإذا كان هناك مبدأ واحد فإنه لدينا ما نبحث عنه ، وإذا كان هناك العديد من المبادئ فإنها إما أن تكون منظمة أو غير منظمة . وإذا كانت المبادئ غير منظمة أو مرتبة فإن نتاجها يكون أكثر اختلالا ومن ثم فلا يكون العالم عالما بل فوضى ؛ أضف إلى ذلك أن ماهو عكس الطبيعة ينتمى إلى شيء غير موجود بطبيعته . ومن ناحية أخرى فإذا كانت المبادئ منظمة فإنها تكون كذلك بذاتها أو بسبب خارجى . فإذا كانت منظمة بذاتها يكون لديها شيئا مشتركا يوحد بينها جميعا ويكون ذلك هو المبدأ الأول [1].

-١٨-

كان أرسطو بالتأكيد يتحدث بورع وتقوى عندما أصر على عدم حدوث العالم وعدم فنائه ، واتهم كل من يؤمن بعكس ذلك بالإلحاد الشديد ، هؤلاء الذين اعتقدوا أن الإله العظيم المدرك الذى يضم فى الواقع الشمس والقمر والبانثيون الباقى بالكواكب والنجوم غير السيارة ليس أفضل مما تصنع أيادى البشر ، ولقد اعتاد أرسطو أن يقول بسخرية – حسبما قيل لنا ــ أنه كان يخشى فى الماضى من تدمير منزله بفعل الرياح أو العواصف الشديدة غير المعتادة أو بفعل الزمن أو نقص الصيانة اللازمة ، ولكنه يشعر الآن بخطر أكبر يطوقه من هؤلاء الذين دمروا العالم أجمع عن طريق الجدل[2].

-١٩ أ-

إن المناقشات التى برهنت على أن العالم أزلى وغير محدث يجب أن تعطى الأولوية الملائمة، ويجب أن نذكر فى بداية المناقشة انطلاقا من احترام الإله المدرك ؛ أنه يوجد سببان حتميان لدمار كل الأشياء القابلة كذلك ، أحدهما داخلى والآخر خارجى . فالنسبة للحديد والبرونز

---

[1] Ross, Op.Cit,P.88.
[2] Ibid,PP.88,89.

وما شابههما من مواد مماثلة يأتيها الدمار من الداخل عندما يغزوها الصدأ ويلتهمها كالمرض الداهم. أما عن الدمار الخارجى فإنه يتحقق عندما يشتعل منزل أو مدينة نتيجة لاندلاع الالهب . وعلى نحو مشابه يأتى الموت للكائنات الحية من داخلها عندما يصيبها المرض ، و من خارجها عندما تذبح أو ترجم بالحجارة أو تحرق حتى الموت أو تتعرض للموت المحرم عن طريق الشنق. فإذا تعرض العالم أيضا للدمار فإن ذلك سيكون بسبب عامل خارجى أو بسبب إحدى القوى بداخل العالم ذاته وكل عامل من هذه العوامل مستحيل ، لأنه لا يوجد شىء خارج العالم لأن كل الأشياء قد أسهمت فى اكتماله ولذلك فهو عالم متكامل أبدى . هو عالم واحد فقط لأنه لو وجد شىء ما خارج تكوينه فإنه سيشكل عالم آخر مثل العالم الحالى . وهو عالم متكامل ؛ لأن كل الكائنات قد استهلكت فيه ، وهو عالم أبدى وبلا أمراض لأن الأجساد التى يصيبها المرض والشيخوخة تغنى بفعل الهجوم العنيف للحرارة والبرودة والقوى المعاكسة الأخرى من الخارج ، التى لا يمكن الهرب منها ، والتى تحاصر العالم وتهاجمه لأنها جميعا بلا استثناء موجودة بداخله بصورة كاملة . وإذا كان هناك أى شىء خارجه فلا بد وأنه فراغ تام أو طبيعة جامدة لا تستطيع أن تعانى أو تفعل أى شىء. ولن يغنى العالم بسبب أى شىء بداخله . أولا : لأن الجزء سيكون أقوى وأعظم من الكل ويكون ذلك من أغرب الأشياء لأن العالم بفضل قوته يوجه كل الأجزاء ولا يوجهه أى منها . ثانيا : ولأن هناك سببان للفناء أحدهما داخلى والآخر خارجى ، فإن الأشياء التى تعانى من إحداها تكون بالضرورة عرضة للآخر . والدليل أن الثور والحصان والإنسان والحيوانات المماثلة يمكن أن تتعرض للدمار بفعل الحديد وكذلك الهلاك بفعل المرض لأنه من الصعب بل من المستحيل أن تجد شيئا عرضه للسبب الخارجى للدمار وليس عرضة مطلقا للسبب الداخلى . إذن لقد اتضح أن العالم لن يتدمر بفعل شىء من خارجه لأنه لا يوجد شىء خارجه ، كما أنه لن يفنى بفعل شىء داخله كما هو واضح من النقاش السابق القائل بأن ما يكون عرضة للتأثير بأحد الأسباب يكون أيضا عرضة للسبب الآخر [1].

---

[1] Ross,Op.Cit,PP.89,90.

ويمكن صياغة ذلك بطريقة أخرى : إن كل الأجسام المركبة التى تتعرض للدمار عادة ما تتحلل إلى مكوناتها ؛ لأن التحلل ليس إلا عودة إلى الحالة الطبيعية للأجزاء . وعلى نحو معاكس عندما يكون هناك تكون أو إنشاء تصبح الأشياء التى اتحدت فى حالة غير طبيعية . وبالطبع يبدو ذلك بعيدا عن الشك . فنحن البشر تم تكويننا عن طريق استعارة أجزاء قليلة من العناصر الأربعة التى تنتمى فى معظمها إلى الكون كله وهى – التراب والماء والهواء والنار . وعندما تختلط هذه الأجزاء فإنها تتخلى عن طبيعتها حيث يتم دفع الحرارة العلوية إلى أسفل وحيث تصبح المواد الترابية الثقيلة؛ خفيفة وتشغل بدورها الجزء الأعلى الذى يشغله أكثر أجزائنا ترابية وهو الرأس . إن أسوأ الروابط هى تلك التى يربطها العنف ، فهى عنيفة وقصيرة الأجل ؛ لأنه سرعان ما تنكسر بسبب الذين كانوا مرتبطين بها ، فهم يفكون الارتباط بسبب رغبتهم أو تشوقهم إلى حركتهم الطبيعية التى يتسارعون إليها . لأنه كما يقول الشاعر التراجيدى: إن الأشياء التى تولد فى الأرض تعود إلى الأرض . كذلك الأشياء التى تولد من بذور سماوية تعود إلى قطب السماء ، فلا يموت شىء يأتى إلى الوجود فأحدهما يرحل فى اتجاه والآخر فى اتجاه مختلف ، وكلاهما يبين الشكل الخاص به. وبالنسبة لكل الأشياء التى تفنى ، فهذا هو القانون وهذه هى القاعدة المفروضة – عندما تستقر الأجزاء التى اتحدت مع بعضها فى خليط واحد فإنها لابد وأن تكون قد تعرضت إلى الفوضى والاضطراب فى نظامها الطبيعى ويجب أن تتحرك نحو العكس أو الضد من أماكنها الطبيعية لدرجة أنها تبدو إلى حد ما منفية ، ولكنها عندما تنفصل فإنها تعود مرة ثانية إلى مجالها الطبيعى .

وبما أن العالم ليس له دور فى الفوضى التى تحدثنا عنها لذلك دعنا نبحث ما يلى: إذا كان العالم فى مرحلة فناء فإن كل جزء من أجزائه لابد أن يوضع فى النطاق غير الطبيعى له . لكننا لا يمكن أن نفترض ذلك بسهولة ؛ لأن كل أجزاء العالم قد صارت فى أفضل موضع وفى ترتيب منسجم . وهكذا فإن كل جزء منه راض بموقعه ولا يبحث عن أى تغيير للأفضل . ولهذا السبب حينئذ كان للأرض الموقع الأوسط من كل الأشياء الأرضية ، حتى أنك إذا دفعتها إلى أعلى فإنها

تهبط . وهذا دلالة على وضعها أو مكانها الطبيعى . لأنه فى هذه المنطقة عندما يوضع الشىء بعيدا فإنه يبقى ويستقر . وعندما لا يتم إكراهه ، يكون موطنه هنالك . ثانيا : إن المياه تنتشر على الأرض ، وأن الهواء والنار قد تحركا من المنتصف إلى الجزء الأعلى . ويملأ الهواء المنطقة بين الماء والنار ، ويكون للنار أعلى المواقع على الإطلاق . وهكذا فإنك إذا أشعلت مشعلا وألقيته إلى الأرض فإن الالهب بالرغم من ذلك سيقاومك ويشعل نفسه ويعود إلى الحركة الطبيعية للنار . وإذا كان سبب فناء الكائنات الأخرى هو وضعها أو مكانها غير الطبيعى ، ولكن العالم يقع كل جزء من أجزائه وفقا لطبيعة وملائمة المكان المخصص له . ولذلك فإنه يمكن القول إن العالم لا يمكن فناؤه[1].

- ١٩ جـ -

إن القضية الأكثر حسما هى تلك التى أعرف أن الكثيرين يفاخرون بأنهم يعرفونها بكل الدقة وبدون أدنى شك . إنهم يسألون لماذا يجب على الاله أن يدمر العالم ؟ إما أن الاله يريد أن يوفر على نفسه الاستمرار فى خلق العالم أو أنه يريد أن يخلق عالما آخر . إن أول هذين الافتراضيين غريب على الاله لأن ما يناسبه هو تحويل الفوضى إلى نظام وليس النظام إلى فوضى علاوة على ذلك فإنه يكون قد أذن بدخول التوبة والتأثر ومرض الروح إلى ذاته . وإلا كان بالأحرى له عدم خلق هذا العالم على الإطلاق . وأنه إذا حكم على العمل الذى قام به فإنه لابد أن يبتهج بما أنتج . أما البديل الثانى فيحتاج إلى دراسة كاملة . فإذا أراد الاله أن يصنع أو يخلق عالما آخر غير العالم الحالى ، فإن العالم الذى سيخلقه سيكون على أية حال إما أسوأ أو أفضل من العالم الحالى ، أو أشبه به . وكل هذه الاحتمالات عرضة للاعتراض .

-١- إذا كان العالم المخلوق سيئا فإن صانعه أسوأ ، لكن أعمال الاله بريئة فوق النقد لا يمكن صنع أفضل منها وقد تم صنعها وفق أكثر الفنون وأكثر المعارف كمالا . وذلك كما يقول المثل السائر لا توجد إمرأة يعوزها الحكم الصائب حتى تفضل الأسوأ عندما يكون الأفضل متاحا ومن الملائم لله أن يمنح الشكل لعديم الشكل وأن يزين أقبح الأشياء بجمال رائع .

---

[1] Ross, Op.Cit,PP.90,91.

-٢- إذا كان العالم الجديد مثله مثل القديم فإن جهد صانعه يكون قد ذهب سدى ، ولا يختلف فى ذلك كثيرا عن الأطفال الذين عندما يبنون قلاعا من الرمال على الشاطئ فإنهم غالبا ما يبنونها ثم يهدمونها . ويكون من الأفضل كثيرا بدلا من صنع عالم جديد مثل العالم القديم ألا يضيف أو يحذف شيئا ، وألا يغير شيئا للأفضل أو للأسوأ ، بل أن يترك العالم الأصلى فى مكانه .

-٣- إذا أراد الخالق أن يصنع عالما أفضل فإن الصانع نفسه يجب أن يكون أفضل ، ولابد أنه كان أقل حكمة وأقل إلماما بالفن عندما خلق العالم السابق - وهذا لا يجوز أن نرتاب فيه لأن الاله عدل وهو مثل ذاته لا يسمح بالتراجع نحو الأسوأ ولا العزم نحو الأحسن [١].

-٢٠-

عندما يقول لك فيلسوفك الرواقى الحكيم هذه الأشياء مقطعاً فإن أرسطو سوف يقول بحديث كالذهب المتدفق إن هذا الرواقى يقول كلاما لا معنى له ؛ وسوف يقول إن العالم لم يخرج إلى حيز الوجود ، لأنه لم يكن هناك أبدا تصميم جديد يمكن أن يستمد منه هذا العمل النبيل نشأته . وأن هذا العالم مصمم بصورة جيدة فى كل جزء من أجزائه بحيث لا توجد أى قوة أخرى يمكنها أن تحدث مثل هذه الحركات العظيمة ومثل هذا التغيير العظيم ، ولا يمكن للشيخوخة أن تصيب هذا العالم بمرور الزمن لدرجة أن يتساقط هذا العالم الجميل إلى جزئيات ويفنى [٢].

إذا كان يمكن للعالم أن يفنى ككل لأنه يفنى كأجزاء فمن الواضح أنه فى وقت ما قد خرج إلى الوجود ؛ وكما أن الضعف يدل على البداية فإنه أيضا يدل على النهاية . وإذا كان ذلك صحيحا فإن أرسطو لم يستطع أن ينقذ العالم نفسه من أن تكون له بداية . وإذا كان أفلاطون وأبيقور قد انتزعا هذا الاعتراف من أرسطو ، فإنه على الرغم من طلاقة أفلاطون وأرسطو اللذين يعتقدان أن العالم سيبقى إلى الأبد فإن أبيقور سوف يستخلص منهما نفس النتيجة عن غير قصد حيث إنه يترتب على ذلك أن العالم أيضا له نهاية [٣] .

---

[1] Ross, Op.Cit,pp.91,92.
[2] Cicero,XIX,De natura Deokum Academica,P.621;And See Also : Ross,Op.Cit,PP.92,93.
[3] Ross,Op.Cit,P.93.

-٢١-

حيث إن بعض الأشياء الحية أصلها فى الأرض ، وأخرى فى الماء ، وأخرى فى الهـواء ، فإن أرسطو يعتقد أنه من الهراء أن نفترض أنه لن يولد أى حيوان فى ذلك الجزء المناسب لتولد الأشياء الحية وحيث إن النجوم تشغل المنطقة الأثيرية ، وبما أن تلك المنطقة هى الأقل كثافة ودائمة الحركة والنشاط فإن الحيوان الذى يولد فيه يكون أقوى إدراكا وأسرع حركة . وهكـذا ، حيـث إن النجوم تولد فى الأثير فإنه من المناسب أن يكون لديها إدراكا وذكاء . ومن ذلك يجب اعتبار النجوم من بين الآلهة [١].

يجب الثناء على أرسطو أيضا لحكمه أن كل الأشياء التى تتحرك تفعل ذلك إما بطبيعتهـا أو بالإلزام أو بالاختيار . وأن الشمس والقمر وكل النجوم فى حالة حركة ، وأن الأشياء التى تتحـرك بطبيعتها تتحرك إما إلى أسفل بسبب وزنها أو إلى أعلى بفضل خفتها ، ولا يمكن لأيهما أن يحـدث للنجوم ، لأن حركتها تكون فى مدار أو دائرة . ولا يمكن القول إن قوة عظمى مـا تجعـل النجـوم تتحرك عكس الطبيعة ، ولكن ماهى تلك القوة الأعظم ؟ ما يتبقى حينئذ هو أن حركة النجـوم هـى حركة إرادية إن من يرى هذه الأشياء وينكر وجود آلهة إنما يتصرف بجهل واستخفاف بالمقدسات[٢].

-٢٢-

يقول أفلاطون وأرسطو إنه توجد أربعة أنواع من الحيوانات – أرضـية ومائيـة ومجنحـة وسماوية . ويقول إن النجوم أيضا حيوانات ، وأن العالم نفسه إله ، حيوان مفكر خالد[٣] .

ينسب أرسطو عملية الخلق كلها للحيوانات السماوية [٤]. وينسب أرسـطو توالـد هـؤلاء للشمس ولدائرة البروج [٥].

---

[1] Cicero,Op.Cit,p.163.And See Also: Ross,Op.Cit.p.93 .
[2] Cicero,Op.Cit,P.165;And See Also : Ross,Op.Cit.pp.93,94.
[3] Ross,Op.Cit,P.94.
[4] Ibid.,p.94
[5] Ibid.,p.94

-٢٣-

إن القول إنه يجب أن يوجد جنس كامل من الرجال نشأ بهذه الطريقة يتضح من حالة الإنسان الذى نشأ فى تلك الأجزاء والذى تغذى فقط على أشعة الشمس ؛ لقد تحدث عنه أرسطو بأنه قد رآه بنفسه [١].

إذا سجل أرسطو حالة رجل فى هذا العالم بأنه لم يذق طعم النوم ويتغذى على أشعة الشمس. فما الذى يجب علينا أن نفكر فيه عن الأشياء فى عالم آخر ؟ [٢]

-٢٤-

يتفق بروكلس Proclus مع أرسطو بأن الأجسام السماوية تتمتع بحاستى السمع والبصر فقط من بين كل الحواس ، وهما اللتان تساهمان فى تحسس الوجود ولا تشاركان فى الوجود ذاته كما تفعل بقية الحواس الأخرى . ويشهد الشاعر على ذلك قائلا : " إن الشمس ترى كل الأشياء وتسمع كل الأشياء " – مما يعنى أن الأجسام السماوية تتمتع بالسمع والبصر فقط . ويضيف أرسطو أن معظم تلك الحواس قد اكتسبت المعرفة عن طريق الحركة والنشاط وليس عن طريق الخمول والسلبية ، وهى أكثر ملاءمة للأجسام السماوية غير المتغيرة . ومع ذلك يؤكد دماسكيوس Damascius أن تلك الأجسام تتمتع بحواس أخرى [٣] .

-٢٥-

لقد أوضحنا أن أفلاطون قد رفض الأشكال الأخرى للموسيقى ليس عن جهل أو عدم دراية موسيقية ولكن لكونها غير مناسبة لمثل هذا النظام ؛ وسوف نوضح بعد ذلك أنه كان ماهرا فى الموسيقى [٤] ... وعن فكرة أن الموسيقى هى شىء نبيل وإلهى ورائع ، يقول أرسطو تلميذ أفلاطون : أن الموسيقى سماوية وهى بطبيعتها إلهية وجميلة وملهمة ، تتكون بطبيعتها من أربعة أجزاء ولها وسيلتان ؛ الحسابية والهارمونية وأن أجزاءها فى امتداداتها وتجاوزاتها واحدة على الأخرى لها دلالات رقمية متناسبة ؛ لأن النغمات مرتبة فى وحدتين من النغمات الرباعية . هذه هى

---

[1] Ross, Op.Cit,p.94.
[2] Ibid.,p.94
[3] Ibid,PP.94,95.
[4] Plutarch,Moralia,XIV,P.399;And See Also : Ross,Op.Cit,P.95.

كلماته . وكان يعنى أن قوام الموسيقى يتكون من أجزاء غير متشابهة ومع ذلك تتناغم مع بعضها البعض ولكن وسائلها تناغمت أيضا بنسب حسابية حيث تتناغم النغمة الأعلى بصوة متناسبة مع النغمة الأدنى بنسبة ٢: ١ فيكتمل الجواب Octave وهو ثمانى نغمات موسيقية متتالية – لأن الموسيقى كما قلنا من قبل ، نغمة عليا مكونة من اثنى عشر وحدة ، ونغمة أدنى مكونة من ست وحدات . وتتناغم البراميز Paramese (النغمة الحادة) مع الهيبات Hypate (النغمة الغليظة) بنسبة ٣ : ٢ ولها تسع وحدات ، بينما للميز mese (النغمة الرابعة) كما قلنا ثمانية ومنهما تتكون المسافات الموسيقية الأساسية– وتتضمن الرابعة نسبة ٤ : ٣ ، والخامسة نسبة ٣: ٢ والجواب (الثمانية) نسبة ٢ : ١ . وتوجد أيضا نسبة ٩ : ٨ وهى التى تعطى مسافة نغمة واحدة . وتتجاوز نغمات السلم الموسيقى نغمات كما تتجاوز المسافات بنفس التداخلات من المتواليات الهندسية والحسابية . ثم يصفها أرسطو بأن لها هذه القيم حيث النغمة الثامنة تتجاوز النغمة الرابعة بالجزء الثالث من نفسها ، وتتجاوز النغمة الرابعة النغمة الأساسية النسبة نفسها ، ومن ثم فإن التداخلات متلازمة ؛ فالنغمات تتجاوز ويتجاوزها نفس الأجزاء . وهكذا فإن النغمات الأعلى تتجاوز كما يتم تجاوزها من جانب النغمة الرابعة والخامسة بنفس النسب ٤ : ٣ و ٣ : ٢ وهذا التجاوز هو الذى يعد تناغما . والنغمة الثامنة تتجاوز الرابعة ، والخامسة تتجاوز النغمة الأساسية Hypate بكسور حسابية متساوية . فنسبة الخامسة إلى الرابعة هى ٩ : ٨، والثامنة إلى الأساسية ٢ : ١ ، والخامسة إلى الأساسية ٣ : ٢ ، والرابعة إلى الأساسية ٤ : ٣ . وهكذا يتكون السلم الموسيقى من النغمات والأرقام المقابلة حسب رأى أرسطو .

وفيما يتعلق بالطبيعة الداخلية بتشكل السلم ونغماته من الزوجى ، الفردى والزوجى – الفردى . لأنه فى حد ذاته وفى مجمله يتضمن الزوجى أربعة حدود بينما تكون أجزاؤها ونسبتها زوجية ، فردية وزوجية فردية ، فالنغمة الثامنة زوجية تحتوى على ١٢ وحدة ، والنغمة الخامسة فردية تحتوى على تسع ، والرابعة زوجية تحتوى على ثمانية والنغمة الأساسية تحتوى على ست وحدات زوجية – فردية . وبهذه الطريقة التى يتشكل بها وبنغماته التى ترتبط ببعضها بنسب وتداخلات متبادلة ، فإن السلم ككل يكون فى انسجام مع ذاته ومع أجزائه . ولكن علاوة على ذلك

فإن الحواس التى تخرج إلى حيز الوجود فى الأجساد ، تلك الحواس السماوية والإلهية التى يمنحها الاله ، وبفضل هذا الإدراك المنسجم للإنسان – أى السمع والبصر – فإنها تظهر الانسجام بفضل الصوت والضوء . وأن الحواس التى تصاحب ذلك هى كالحواس المنسجمة التكوين ، لأنه لابد من الانسجام حتى تنتج هذه الحواس آثارها ؛ إنها أقل من السمع والبصر ، ولكنها ليست مشتقة منهما. وعندما يكون الاله موجودا تتواجد تلك الحاستان فى الأجساد وفق مبادئ رقمية وتكون طبيعتها قوية وجميلة فى الوقت نفسه .

من الواضح إذن أن اليونانيين القدماء كانوا على حق فى تقييمهم للتعليم الموسيقى بأنه أعلى أنواع التعليم [1].

-٢٦-

(متحدثا بشخصية أحد الابيقوريين) . يثير أرسطو فى الكتاب الثالث من عمله فى الفلسفة الكثير من الارتباك بسبب انشقاقه عن أستاذه أفلاطون . فهو ينسب كل الألوهية للعقل ، ويقول إن العالم نفسه إله ، ثم يضع غاية أخرى فوق العالم وينسب إليه وظيفة السيطرة والحفاظ على حركة العالم بواسطة نوع من الدوران العكسى . ثم يقول إن حرارة السماوات هى إله دون أن يدرك أن السماوات هى جزء من العالم الذى أطلق عليه فى موضع آخر اسم إله . لكن كيف يمكن الحفاظ على الإدراك الحسى الإلهى الذى ينسبه إلى السماوات فى حركة بمثل تلك السرعة ؟ وأين هى آلهة المعتقدات الشعبية إذا اعتبرنا السماوات أيضا آلهة ؟ وعندما يطالب هو نفسه أن يكون الإله بلا جسد ، فإنه يحرمه من كل إدراك حسى ، بل ومن الحكمة والبصيرة علاوة على ذلك كيف يمكن للعالم أن يتحرك إذا كان بلا جسد ، وكيف إذا كان دائما متحرك بذاته ، أيمكنه أن يكون هادئا وسعيدا ؟ [2] .

-٢٧-

ولذلك فإن الهواء – هذه الكلمة أيضا التى نستخدمها ككلمة لاتينية – والنار والماء والتراب كلها أولية ، تنشأ منها أشكال الحيوانات وثمار الأرض . ولذلك فإنها تسمى مبادئ أولى أو عناصر

---

[1] Plutarch,Op.Cit,Pp.403-411;And See Also : Ross,Op.Cit,PP.95,97.
[2] Cicero,XIX,De Natura Deorum Academica,PP.33,35; And See Also : Ross,Op.Cit,P.97 .

حسب ترجمتها من اليونانية . من بين هذه العناصر الهواء والنار لديهما القدرة على إنتاج الحركة وإحداث التغيير . بينما يكون دور الآخران وهما الماء والتراب الاستقبال والمعاناة . أما عن النوع الخامس الذى نشأت منه النجوم والعقول فإن أرسطو يعتقد أنه شيء مميز وليس على شاكلة الأنواع الأربعة التى ذكرها آنفا [1].

يرى أرسطو الذى تفوق كثيرا على الآخرين – ودائما أستثنى منهم أفلاطون – فى الفكر والصنعة ، بعد أن تناول الفئات الأربع المعروفة بالمبادئ الأولى التى اشتقت منها كل الأشياء ، أن هناك نوعا خامسا يشتق العقل منه ، لأن التفكير والحكمة والتعلم والتعليم والاكتشاف ثروات الذاكرة والحب والكره والرغبة والخوف والكآبة والابتهاج ، كل هذا وأمثاله ؛ يعتقد أرسطو أنه لا يمكن تضمينه فى أى من الفئات الأربع ، لذلك فهو يضيف نوعا خامسا مجهولا أو بلا اسم ، ومن ثم فإنه يلقب العقل ذاته بالاسم الجديد **Evoenexeia** لكونه فى حركة مستمرة لا نهائية [2].

إذا كان العقل إما رقما معينا (وهو افتراض بارع ولكنه ليس شديد الوضوح) أو طبيعة خامسة بلا اسم ولكنها مفهومة جيدا ، فإن هذه الكائنات أكثر كمالا ونقاء بحيث يمكنها أن تتحرك بعيدا عن الأرض [3].

ولكن إذا كانت توجد طبيعة خامسة ، كان أرسطو أول من طرحها ، فإنها طبيعة كل من الآلهة والعقول وقد اتبعنا هذا الرأى وعبرنا عنه بالكلمات نفسها فى عملنا **Consolatio** : أن أصل العقول لا يوجد على الأرض ، فالعقول ليس بها أى شيء مختلط أو مركب أو أى شيء يبدو أنه يولد ويتشكل فى الأرض أو أى شيء يشبه الماء أو الهواء أو النار . لأنه لا يوجد فى هذه الطبيعيات أى شيء له قوة الذاكرة والعقل والفكر ، الذى يحتفظ بالماضى ويتنبأ بالمستقبل ويدرك الحاضر – التى هى وحدها قوى حية – ولا يمكن أن تكتشف أبدا من أين جاءت تلك الطبائع إلى الإنسان سوى من الاله ، وهناك مع ذلك طبيعة فريدة وقوة للعقل منفصلة عن تلك الطبيعيات المعروفة والمألوفة . وهكذا فإن كل ما يشعر ويعرف ويعيش وينمو فلا بد أنه سماوى وإلهى

---

[1] Cicero,Op.cit,P.437; And See Also : Ross,Op.Cit,P.98.
[2] Cicero,XVII,Tusculan Disputations,PP.27,29;And See Also : Ross , Op.Cit.p98.
[3] Cicero, Op.Cit,P.49; And See Also : Ross,Op.Cit,p.98

وبالتالى يكون خالدا . ولا يمكن أن نفهم الاله الذى نعرفه سوى أنه العقل المستقل والحر والمنفصل عن كل مزيج فإن يغذى ويحرك كل الأشياء ، بينما يتمتع هو بالحركة الأبدية . ويعد العقل البشرى من هذا النوع ومن نفس الطبيعة [1].

قدم أرسطو عنصرا خامسا أطلق عليه اسم مالا اسم له * ، يشير بالتأكيد إلى كائن خلق العالم بتوحيد العناصر الأربعة فى عنصر واحد [2].

-٢٨-

يجب أن يتم دراسة الغاية والوسيلة بالعلم نفسه ، والطبيعة هى الغاية (لأن نهاية أية عملية مستمرة هو أيضا سببها النهائى ومن ثم جاءت ملحوظة الشاعر المنافية للعقل " أن لديه الغاية التى ولد من أجلها " . وهى منافية للعقل لأنه لا يعتبر كل نقطة نهاية بل فقط تلك النقطة الأفضل هى السبب النهائى) . وبالطبع أن بعض الفنون تصنع محتواها والبعض الآخر يجعلها قابلة للعمل . ونحن نستخدم مادتها على أنها وجدت من أجلنا (وذلك لأننا الغاية فى إحدى الحاستين التى أبرزناهما فى العمل فى الفلسفة) [3].

يتضح من هذا النص السابق أن أرسطو استمر طوال فترة إقامته فى الأكاديمية تلميذا مخلصا لأستاذه أفلاطون وإن كان يختلف أحيانا معه فى الفكر والآراء الفلسفية ، إلا أنه لم يجرؤ طوال إقامته فى الأكاديمية على انتقاد أفلاطون أو مذهبه الدينى والفلسفى ، وإذا كان أرسطو التلميذ فى الأكاديمية بعد مرور فترة طويلة أنتج خلالها الكثير من المحاورات التى يمكن القول عنها إنها كانت أعمالا تدريبية أو تقليدا لأستاذه إلا أنه سرعان ما وصل إلى مرحلة النضج الفكرى وإن ظل أسيرا للفلسفة الأفلاطونية ، ثم كانت مرحلة الاستقلال والتجديد وهى الفترة التى بدأت قبيل مغادرته للأكاديمية أو بعدها مباشرة ، وهى الفترة التى ظهر فيها أرسطو كشارح للفلسفة الأفلاطونية وكنا

---

[1] Cicero,Op.cit,PP.77,79; And See Also : Ross, The Works of Aristotle, XII,PP.98,99.

* ترجح الباحثة أن هذا العنصر الذى يشير إليه أرسطو بالعنصر الخامس هو (الأثير) .

[2] Ross , OP.Cit,P.99.

[3] Aristotle,Physics, translated by R.P.hardie and R.K.gaye. in The Great Books of The Western World , The Works of Aristotle, Vol.1, P.270;And See Also : Ross,Op.Cit,P.99.

قدمنا لها وفقا لتصوره عن طبيعتها. ومن ثم يجب علينا أن نحاول أن نفتش خلال هذه السنوات عن الفترة التى وصل خلالها لأولى مؤلفاته المعبرة عن وجهة نظره المستقلة والصيغة النهائية لفلسفته.

وتأتى محاورة فى الفلسفة لتعبر عن هذه المرحلة ومن ثم فإنه يجب أولا أن نحدد تاريخ تأليفها على وجه التقريب حيث يصعب أن نحدد زمنا بعينه ، وإنما هى اجتهادات لوضع التاريخ المحتمل لذلك . لقد وضع بيجر تاريخا محتملا لهذه المحاورة بأنه كان أثناء فترة إقامة أرسطو فى آسوس ٣٤٨/٣٤٧ – ٣٤٥ – ٣٤٤ ق.م أو بعد وفاته مباشرة ، ويستند فى ذلك إلى عدة معطيات، الأولى : أن أرسطو أثناء إقامته فى آسوس استمر فى نشاطه الفلسفى مع بعض رفاقه ، وفى هذه الفترة استمرت الصلة بأفلاطون الذى كتب إليه فى إحدى خطاباته أنه حتى وهو فى هذا العمر المتقدم فإنه لا يمكن أن يتخلى عن نظرية المثل ، وأنه إذا واجه رجال آسوس أى مشكلة فيمكنهم مراجعة الأكاديمية[1] . وهذا يعنى أنهم فى آسوس كانوا يناقشون نظرية المثل ، وربما وجدوا بعض المواضع المشكلة أو التى يدور حولها الشك فكتبوا إلى أفلاطون يستوضحون منه . ومن ثم يبدو أن أرسطو كان قد عقد العزم على التخلى عن هذه النظرية وفى سبيله إلى ذلك لابد يظهر انتقاداته أو أوجه الضعف من وجهة نظرية . وأنه بعد وفاة أفلاطون قام رجال آسوس بدعوة مجموعة من فلاسفة الأكاديمية بعضها يمثل التيار المحافظ والبعض الآخر يمثل التيار المنادى بالتجديد وهذه المجموعة هى التى قرأ عليهم أرسطو النسخة الأولى من كتاب الميتافيزيقا التى كانت معاصرة لمحاورة فى الفلسفة [2]. ومن ذلك يتضح تاريخ تأليف هذه المحاورة عن طريق العلاقة بين نقد أرسطو لنظرية المثل والنقد الذى وجهة لأفلاطون فى الكتاب الأول من الميتافيزيقا عن نظرية الصور أو بعد ذلك بفترة وجيزة وكان ذلك بالتأكيد بعد وفاة أفلاطون أو بعد وفاته بفترة قصيرة [3]. وربما يعتمد الكثيرون فى قولهم إن ذلك تم بعد وفاة أفلاطون استنادا إلى ما ينسب إلى أرسطو من أن ذرادشت عاش قبل وفاة أفلاطون[4] . ومن ثم يكون التاريخ المحتمل هو عام ٣٤٨/٣٤٧ ق.م ، أما إذا كان أرسطو قد كتب محاورة فى الفلسفة تأكيدا على وجهة نظره التى عرضها فى كتاب

---

[1] Jaeger, Aristotle, P.173.
[2] Ibid, P.173.
[3] Ibid, 128;And See Also: Alexei Losev, Aza takho, Aristotle, PP.55,56.
[4] انظر شذرة ٦ من المحاورة .

الميتافيزيقا وأعلن فيها رفضه لنظرية المثل والأعداد النموذجية فإن ذلك يعنى أنه يجب أن يوضح تاريخ لاحق لسنة ٣٤٧/٣٤٨ ق.م [١]. أما إذا اعتبرنا أن انتهاء أرسطو من دراسته التمهيدية فى الأكاديمية سنة ٣٥٦/٣٥٧ ق.م قد صار بعدها مؤهلا للتعبير عن رأيه المستقل ، وإذا كان البعض يرى أن محاورة فى الفلسفة قد كتبت قبل وفاة أفلاطون فذلك يعنى أنها كتبت فى الفترة ما بين ٣٥٦/٣٥٧ – ٣٤٧/٣٤٨ ق.م [٢].

وثمة رأى آخر يجد أن هناك بعض الاتصال والتشابه بين محاورة أرسطو فى الفلسفة وكتاب أفلاطون القوانين الذى بدأ أفلاطون فى تأليفه سنة ٣٥٥/٣٥٦ ق.م فإن ذلك يطرح عدة احتمالات منها أنه إذا كان كتاب فى الفلسفة سيؤرخ قبل عام ٣٥٥ ق.م فإن معنى ذلك أنه صدر قبل القوانين وهذا يعنى أن أفلاطون هو الذى قام بالرد على أرسطو أو نقد لكتاب فى الفلسفة ، أما إذا كان سيؤرخ لمحاورة فى الفلسفة بعد عام ٣٤٧/٣٤٨ ق.م أى بعد وفاة أفلاطون فإن معنى ذلك أن ما كتبه أرسطو هو نقد أو رد لما جاء فى القوانين خاصة فى نوع القصيدة ونظريات المثل والأعداد المثالية والصور وغير ذلك . أما إذا اعتبرنا أن محاورة فى الفلسفة كانت معاصرة للقوانين فقد يظن البعض أن الأجزاء الأخيرة من القوانين جاءت متأثرة بمحاورة فى الفلسفة وهذا غير محتمل بالمرة [٣] . ولكن الواقع أن بعض الأفكار التى يقدمها أفلاطون فى القوانين خاصة الأفكار اللاهوتية يناقشها أرسطو فى الكتاب الثالث من محاورة فى الفلسفة ، كما يوجد أيضا تشابه بين بعض الفقرات فى الكتاب الثانى عشر من القوانين الأفلاطونية والكتاب الثالث من محاورة فى الفلسفة حيث يقول أفلاطون : يوجد شيئان يؤديان إلى الإيمان بالاله ، الأول : المناقشة عن النفس .. والثانى : الجدل حول ترتيب حركة النجوم وكل شىء تحت سيطرة النفس التى تنظم الكون نفس الشىء قاله أرسطو بأن فكرة البشر عن الإلهة قد نبعت من مصدرين هما تجارب النفس وظواهر السماوات [٤].

---

[1] Chroust,Aristotle,II,pp.146,148.
[2] Ibid.,pp.146,148.
[3] Ibid, P.149.
[4] Ibid, PP.151,152 ,And See Also: Alexei Losev,Op.Cit, P.59.

إننا الآن أمام وجهة نظر ييجر القائلة إن أرسطو قد كتب المحاورة ما بين ٣٤٨/٣٤٧ - ٣٤٦ ق.م وبين الكثير من التواريخ التى ناقشها كروست منها تواريخ تسبق وفاة أفلاطون بل تعود إلى سنة ٣٥٧ ق.م وبعضها بعد وفاة أفلاطون . ومع ذلك يظل التاريخ الذى افترضه ييجر هو أكثر التواريخ قبولا ومن ثم يمكن القول إن أرسطو قد كتب محاورة فى الفلسفة فى فترة ما بين ٣٤٨/٣٤٧ - ٣٤٦ ق.م .

وتتميز هذه المحاورة ببعض الميزات التى قد لا توجد فى محاوراته السابقة فقد جعل أرسطو نفسه المتحدث الرئيسى والموجه للمناقشة[1] . علاوة على ذلك فقد كتب أرسطو مقدمة مستقلة لكل كتاب من كتب المحاورة الثلاثة ، ومن ثم فقد يدعونا إلى القول إن كل كتاب من هذه الكتب كان كاملا ومستقلا بذاته ، وهكذا فمن الناحيتين الشكلية والفلسفية تقع المحاورة فى منتصف الطريق بين الكتب العلمية التى كتبها للخاصة وبين المحاورات التى كتبها للعامة وإن كانت تميل إلى الاقتراب من محاورات العامة [2]. ومع ذلك فإنه فى الفترة التى اختفت فيها أعمال أرسطو المستورة أو كتبه الخاصة ظلت هذه المحاورة هى المصدر الرئيسى للمعرفة بآراء أرسطو الفلسفية فى العالم القديم ومنها اتخذ الرواقيون والأبيقوريون معرفتهم عن أرسطو [3].

وإذا كان أرسطو فى بعض محاوراته السابقة قد أظهر بعض وجهات النظر المختلفة أو المستقلة عن فكر أستاذه وفلسفته إلا أنه لم يعلنها صراحة أو يعارض أفلاطون أو لا يستطيع أن يقبل بعض آرائه أو ينتقدها ،ومن ثم فقد كانت هذه المحاورة هى العمل الأدبى الوحيد لأرسطو الذى نعرف عنه تحديدا أنه كان معاديا لأفلاطون . وكانت هذه الانتقادات دحضا عاما لمذهب الأعداد المثالية وعالم المثل التى بنى عليها أفلاطون أساس فلسفته ومذهبه الدينى [4]. وقد عبر أرسطو عن معارضته لنظرية أفلاطون بقوله : إذا كانت المثل نوعا مختلفا من الأعداد وليست أعدادا حسابية

---

[1] Ferguson, Aristotle, P.27, And See Also:Jaeger, Op.cit,P.127.
[2] Jaeger, Op.Cit,P.127
[3] Ibid.,P.128.
[4] Allan, The Philosophy of Aristotle, PP.14,15; And See Also: Ferguson, Op.Cit,P.28; Alexei Losev, Op.Cit,P.56.

فإننا لا نستطيع فهمها [1]. وإذا كان أرسطو قد رفض نظرية المثل فقد قال فى محاورة فى الفلسفة إنه لا يمكن أن يتفق مع هذا المذهب حتى إذا عرض نفسه علانية للاتهام بأنه يعارضها بدافع من حب الجدل والمناظرة [2]. فى هاتين الشذرتين نجد أن أرسطو هو المتحدث ، حقيقة لا نعرف الكلمات الفعلية التى قالها ولكن كلا الشذرتين تحفظان التعبير المناسب لرفضه أو عدم فهمه .

مرة أخرى نجد أرسطو يشذ فى هذه المحاورة عما اعتاد عليه الأفلاطونيون من احتقار للسوفسطائيين وفلسفتهم وأعاد الاسم إلى معناه الصائب كعنوان للشرف وقال إنها جديرة بالحكماء السبعة اعترافا منه بسموها ورفعتها [3]. كما أنه عندما أراد أن يؤرخ للفلسفة فإنه لم يكتف بفلاسفة اليونان القدامى وإنما أشار فلاسفة الشرق وإبداعاتهم القديمة والهائلة ، وتحدث عن المجوس ، وتحدث عن الحكماء السبعة لبلاد اليونان وقال إن القول المأثور المشهور " اعرف نفسك " لم يقله أحد من هؤلاء الحكماء وإنما ينسب إلى كاهنة بيثيا فى معبد دلفى . كما قال إن المجوس أقدم من المصريين [4]، وأن زرادشت عاش قبل وفاة أفلاطون بستة آلاف سنة [5] . وبين أن القصائد الدينية المعروفة باسم القصائد الأورفية المنسوبة إلى أورفيوس ليست من إنشاء أورفيوس لأنه لم يكتب شعرا وإنما الأفكار والمبادئ لأورفيوس وأن الذى نظمها شعرا هو الشاعر أونوماكريتوس ، ومن ثم فقد فرق أرسطو بين الأفكار الدينية والشكل الذى ظهرت فيه ، بل ينسب إليه إنه أنكر وجود شاعر باسم أورفيوس وأيده فى ذلك الفيثاغوريين الذين نسبوا القصائد إلى شاعر يدعى سيركون .

---

[1] انظر : محاورة فى الفلسفة ، شذرة ١١ .

[2] نفس المصدر ، شذرة ١ .

[3] نفس المصدر ، شذرة ٥.

[4] قال أرسطو فى كتبه الباقية أن المصريين هم أقدم الشعوب ، أو أنهم عريقون جدا فى القدم .
Aristotle,Meteorlogy,; translated by E.W.Webster , in The Works of Aristotle Vol.1,edited by Robert Maynard Hutchins, The University of Chicago, 1982, P.458 .
وأيضا : أرسطو ، السياسيات ، ص ٣٨٣ .

[5] إن هذا التاريخ المنسوب إلى أرسطو فى المحاورة يخالف ما نعرفه عن تاريخ وجود زرادشت حيث أنه عاش فى الفترة من ٦٦٠-٥٨٣ ق.م على وجه التقريب أى حوالى مئتى سنة فقط قبل وفاة أفلاطون وترجح الباحثة أن هذا التاريخ الذى ذكره أرسطو ربما أراد أن يشير به إلى قدم الحضارة الشرقية .
أنظر : د.جورج طرابيشى ، معجم الفلاسفة ، دار الطبيعة للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت ، ص ٣١٤ .

هذا الكم الهائل من الحقائق عن الحكمة ووضع تواريخ محتملة للثقافات الشرقية واليونانية أراد به أرسطو أن يؤكد على اعتقاد بالدورة الطبيعية فى إحياء الحقائق القديمة وظهورها من جديد فى التاريخ البشرى ، ليس فقط مرة أو مرتين ولكن بصفة متكررة على نحو غير محدد . ولذلك وضع أساس مجموعة من الأمثال اليونانية تعتمد على أن هذه الأوامر الموجزة إن هى إلا ما تبقى من ما قبل الفلسفة الأدبية ، التى حفظت نفسها بالقول المتداول خلال كل التغييرات فى روح الأمة بفضل إيجازها وأهميتها . وأدركت عين أرسطو الفاحصة قيمة الأقوال و الأشعار المأثورة فى دراسة أصول الأخلاق ، وقد جلبت هذه المحاولة على أرسطو الازدراء العلنى من الأوساط الأيزوقراطية . وفى محاولة فحصه لقدم الحكمة الدلفية اعرف نفسك حاول أن يحدد هل هذه الحكمة صدرت عن الحكماء السبعة ، وتوصل إلى أنه بما أن الحكمة المأثورة أقدم من شيلون الذى هو أقدم الحكماء جميعا وبالتالى فإنها لم تصدر عن أى منهم ولكن أوحت بها بيثيا Pythia نفسها [1].

وقد ترتب على مبدأ اعرف نفسك عند سقراط أن نظريته الأخلاقية التى تتلخص فى أن الفضيلة معرفة والرذيلة جهل ، فمعرفة الإنسان بنفسه هى السبيل الوحيد لتحقيق الفضيلة [2]. وهكذا فإن تفسير سقراط لهذه الحكمة هو الذى سبب له المشاكل . إن العلاقة الثابتة هنا بين الحكمة المأثورة المنقوشة فى معبد دلفى ، وبحث سقراط عن المعرفة الأخلاقية تتناسب فى محاورة فى الفلسفة لأرسطو أفضل مما تتناسب فى أية محاورة أخرى ، وهى مثال للمذهب القائل إن الحقائق الفلسفية يعاد اكتشافها فى جميع مسارات التاريخ . وهكذا صار سقراط هو الذى استرد أو قام بإحياء المبدأ الأخلاقى لديانة أبولون ، الحقيقة أنه مثلما حاول أرسطو أن يوضح بحكاية الزيارة إلى دلفى أنه من خلال هذه المركزية القديمة للكشف عن الحقيقة أنه أدرك الدافع الخارجى الذى أدى إلى تلك التساؤلات التى أثارت كل المشكلات الأخلاقية فى عصره [3].

وتنقسم المحاورات إلى أربعة موضوعات رئيسية حسب تقسيم كروست وهو تقسيم جيد للدراسة سنقتدى به ولكن ليس على الترتيب الذى وضعه . وسنحاول بداية أن نبين العلاقة بين

---

[1] Jaeger, Op.cit,P.130.

[2] د. أميرة مطر ، الفلسفة اليونانية ، ص ١٥٠ .

[3] Jaeger,Op.Cit,PP.130,131.

محاورة فى الفلسفة وفلسفات الشرق القديم ، وتتضح هذه العلاقة من المؤثرات أو الاقتباسات التى اقتبسها أرسطو من الفلسفات الشرقية على نحو مسلم به ، وقد فعل ذلك لكى يظهر اعتماد بعض جوانب الفلسفة اليونانية على فلسفة المجوس ، بل أكثر من ذلك فإن هذه الاقتباسات تشير إلى وجود علاقة جوهرية بين بعض مراحل الفلسفة اليونانية والتقاليد الدينية أو شبه الدينية الإيرانية القديمة ، وعندما نوقشت بعض آراء أرسطو الدينية فى محاورة فى الفلسفة يرى البعض أنه كان مهتما بعمق ومعنيا بشدة بفلسفة المجوس ، وقد يؤدى ذلك إلى التخمين أو الاستشعار بأن بعض آرائه قد تأثرت على نحو مباشر أو غير مباشر بالتعاليم الدينية للمجوس [1].

وإذا حاولنا البحث عن مصدر هذه المؤثرات الشرقية فإن الدلائل كلها تشير إلى يودوكسوس الكندوسى **Eudoxus of Cnidus** عالم الفلك والرياضيات وصديق أفلاطون ، الذى كتب مؤلفا فى علم الجغرافيا بعنوان " رحلة حول العالم " قد استهوته علوم الشرق وحكمته من خلال زياراته لمصر وإيران والمناطق الشرقية الأخرى ، وعندما عاد أحضر معه إلى بلاد اليونان ما جمعه من علوم كانت مجهولة لليونانيين آنذاك [2]. وبما أن يودوكسوس قد قضى وقتا لا بأس به فى الشرق فلابد وأنه كان على علاقة مباشرة مع التعاليم الزرادشتية ، كما أنه من المحتمل أيضا أن يكون قد نقل إلى بلاد اليونان تعاليم الشرق وبعض جوانب العقائد الدينية . ومن المعروف أن يودوكسوس ، زار أثينا مرتين المرة الأولى حوالى سنة ٣٧٨-٣٧٧ ق.م ، ومرة أخرى حوالى سنة ٣٦٨ ق.م . وتولى القيام بأعمال أفلاطون فى الأكاديمية خلال إقامة أفلاطون الثانية فى سيركوزا ٣٦٧-٣٦٥ / ٣٦٤ ق.م [3]. وكانت أكاديمية أفلاطون فى هذا الوقت مركز اهتمام شديد بالشرق وعلومه ، كبشير لحملة الإسكندر والتقارب اللاحق بين اليونانين والآسيويين ، أما الطريقة التى شق بها النفوذ الشرقى طريقه إلى الأكاديمية فقد كشفت عنه إحدى الشذرات التى حفظتها بردية فى هيركولانيوم

---

[1] Chroust, Op.Cit,p.208.

[2] Jaeger,Op.Cit,P.132; And See Also: Chroust,Op.Cit,P.208.

[3] Jaeger,Op.Cit,P.132,And See Also : Chroust,Op.cit,P.208

عن سيرة يودوكسوس الكندوسى ، انظر :

Diogenes Laertius, Lives of Eminent Philosophy ,11, PP.401-407.

Herculaneum ضمنت قائمة بأسماء تلاميذ الأكاديمية . وقد كشفت القائمة أن أحد الكلدانيين كان عضوا منتظما بالمدرسة [1].

ومن المسلم به أن أرسطو في الكتاب الأول في الفلسفة قد بدأ مقدمة عامة موجزة عن تاريخ الفلسفة ، وأنه قد تجاوز فلك الفلسفة اليونانية وحكمائها وأتى إلى ذكر الفلاسفة الآخرين وخاصة حكماء الشرق سعيا وراء المصريين والمجوس الذين يعتبرهم أقدم من المصريين . ولكن إلى أى مدى استحوذت فلسفة المجوس على عقل أرسطو وفكره من حقيقة أنه كتب فى الميتافيزيقا إن بعض المفكرين الأوائل قد دمجوا الخير والشر وجعلوا الأفضل هو المبدأ الأصلى المتكون مثلما فعل المجوس وبعض الحكماء اللاحقين مثل ايمبيدوكليس انكساجوراس [2] .

وربما يثار هنا التساؤل مرة أخرى ، كيف ومن خلال أية قنوات أو سبل وسيطة أتت فلسفة المجوس أو المذهب الزرادشتى إلى بلاد اليونان أو إلى فكر أرسطو ، وقد سبقت الإجابة أن يودوكسوس الكندوسى على الأرجح هو الذى أدخل أو قدم أفكار الفلسفة الشرقية إلى بلاد اليونان وإلى أثينا والأكاديمية على وجه الخصوص ، كما كان هناك أيضا الطالب الكلدانى أو أحد أتباع زرادشت ، وربما العديد من الكلدانيين كانوا أيضا أعضاء فى الأكاديمية الأفلاطونية ، وهناك من الدلائل ما يشير إلى أن هؤلاء المجوس قد جاءوا إلى أثينا من أجل الفلسفة الأفلاطونية والمشاركة فى التعاليم الفلسفية التى كان يشرحها ويفسرها وهذا يعنى أن تعاليم أفلاطون وفلسفته قد وصلت إلى المجوس فى فارس وأنه بسبب فضولهم الشديد أو شغفهم بنبوءة " النبى الجديد " أو الحكيم الجديد قد أرسلوا إلى أثينا رسولا منهم أو بعض الرسل ليتعلموا عن هذا المعلم الجديد فى الغرب[3]. وربما أيضا ما يزيد من صحة هذه المعلومة ما ذكره ديوجين لارتس بأن ميثراداتس الفارسى قد نصب تمثالا لأفلاطون فى الأكاديمية ونقش عليه هذه الكلمات : ميثراداتس الفارسى ابن أورنتوباتس اعترافا بالفضل يهديه إلى ربات الفنون وكذلك أفلاطون [4].ولكن إلى أى حد أثرت تعاليم ومعتقدات الكلدانيين والمجوس فى تعاليم الأكاديمية خلال العقود الأخيرة من حياة أفلاطون ؟ على أية حال

---

[1] Jaeger,Op.Cit,pp.131,132.
[2] Chroust, op.Cit,p.209.
[3] Ibid.,P.209.
[4] Diogenes Laertius,op.cit,1,P.301;And See Also: Chroust,Op.Cit,P.209.

يمكن الاستشهاد بقول أفلاطون ذاته لكى نثبت تأثره بمبدأ الثنائية عندما يقول فى القوانين بأن حركة الكون تستلزم روحين على الأقل إحداهما خيرة والأخرى قادرة على التأثير المضاد [1] وقد تكون الروح الخيرة ليست إلا أورمودز Ormudz الزرادشتى والروح الشريرة ما هى إلا أهريمان Ahriman الزرداشتى ، ويؤكد أفلاطون أن الشر لا يمكن أن يموت أبدا لأنه لابد أن يظل دائما شيئا ما معاديا للخير [2]. أو كما ذكر أفلاطون أيضا فى محاورة السياسى أن الكون يتحرك فى وقت ما بقوة إلهيه خارجية ويستمد حياة جديدة وخلودا من يد الخالق المجددة ومرة أخرى عندما يترك فإنه يتحرك بذاته لأنه صار متحررا فى ذلك الوقت ، ويتمتع خلال دورات سنوية لا نهائية بحركة عكسية [3] . كما توجد بعض التأثيرات الشرقية الأخرى فى نفس الفترة وهى حالة التوازى بين الفضائل الأربعة لأفلاطون والأخلاق الزرادشتية وبين اللاهوت النجمى الذى وضعه فيليب الأيوسى تلميذ أفلاطون وسكرتيره فى تعليقه على كتاب القوانين لأستاذه بأنه الحكمة السامية ، ويوصى بالمبادئ الدينية الجديدة التى ينسبها لليونانيين والتى اعتمد فيها فيليب بوضوح على المصادر الشرقية [4]. وقد تولدت هذه الميول بلاشك خلال الفترة عندما كان يودوكسوس مقيما فى الأكاديمية ومارس تأثيرا هائلا على أعضائها يتضح ذلك من تقدير الأكاديمية وأعضاؤها لعلم الفلك الكلدانى والسورى ، ومعرفتهم بالكواكب السبعة معرفة تظهر فى كتابات فيليب الأيوسى لأول مرة فى أوربا، والأكثر من ذلك فإن الثنائية الزرادشتية للخير والشر قد تنعكس بشكل مطلق على ميتافيزيقية أفلاطون [5].

ومع ذلك فإن التأثيرات الزرادشتية على أفلاطون قد يعود تاريخها إلى الثمانينيات أو على الأقل إلى السبعينيات من القرن الرابع قبل الميلاد . إن النزعة الثنائية الخاصة فى ميتافيزيقية أفلاطون المتأخرة ، التى تنسب بصفة عامة إلى التعاليم الفيثاغورية قد تكون أيضا زرادشتيه، وإذا كان الأمر كذلك فإن المرحلة الرياضية الفيثاغورية فى فلسفة أفلاطون التى تشتمل على نظرية الأعداد المثالية يبدو أنها كانت متوافقة مع التعاليم الزرادشتية عن النجوم أو تكون قد تأثرت جدا

---

[1] أفلاطون ، القوانين ، ص ٤٦٦.

[2] Chroust,Op.Cit,P.210.

[3] Plato,Statesman,P.587 .

[4] Jaeger,Op.Cit,P.132.

[5] Ibid,P.132.

بالمذهب الزرادشتى . من ذلك الوقت فصاعدا صارت الأكاديمية مهتمة بشدة بزرادشت وتعاليم المجوس [1].

ويقول بيجر إن الحماس فى الأكاديمية للزرادشتية قد وصل إلى حد الثمالة ، مثل إعادة اكتشاف الفلسفة الهندية من خلال شوبنهاور ، وأثارت الوعى التاريخى الذاتى للأكاديمية للاعتقاد بأن مذهب أفلاطون (عن الخير) كمبدأ سامى وعالمى قد كشفه للبشرية الشرقية نبى شرقى قبل ذلك بآلاف السنين [2].

ربما نستنتج أيضا أنه يمكن اكتشاف تأثيرات زرادشتيه معينة على الفلسفة اليونانية قبل أفلاطون والأكاديمية ، وربما كانت ادعاءات هيراقلطيس الإفسوسى بأن النزاع مبعث كل شىء ماهو إلا صياغة وإعادة هيكلة للمعتقد الزرادشتى فى الصراع الدائم بين قوى الخير وقوى الشر ، وكذلك عندما يطلق ايمبيدوكليس على المحبة والكراهية اسم العاملين الرئيسيين اللذين يعملان فى جميع أرجاء الكون ، ويتتابعان فى السيطرة . فإنه يبدو أنه كان يعيد صياغة التعريف الزرادشتى عن الاله وكذلك الازدواجية الزرادشتية (عن الخير) والشر والصراع الدائم بينهما [3].

وبالمثل أيضا فإن أرسطو الذى كان شابا فى العشرين من العمر وعلى ارتباط وثيق بأفلاطون والأكاديمية قد قام هو الآخر بجمع أية معلومات يحصل عليها من المجوس أو الكلدانيين، ومما لاشك فيه أن هذه المؤثرات على الفلسفة اليونانية والتغييرات التى طرأت عليها نتيجة لاتصالها بالفلسفات الشرقية كانت وراء اهتمام أرسطو بالمجوس ، ومع ذلك فإننا نستطيع أن نتبين بعض الآثار الزرادشتية فى بعض أعماله الأخرى مثل مذهب العودة الأبدية أو النظرية القائلة بأن الحقيقة تعود فى فترات دورية معينة والتى هى تحديدا عنصر جوهرى فى التقاليد الزرادشتية ، فعلى سبيل المثال نجد فى الميتافيزيقا أن كل علم وكل فن قد تكرر تطوره إلى أقصى ما يمكن ثم مرة أخرى

---

[1] Jaeger,Op.Cit,P.132;And See Also : Chroust,Op.Cit,P.211.
[2] Jaeger,Op.Cit,p.134.
[3] Chroust,Op.Cit,P.212.

يتكرر فناؤه [1]. وفى كتاب عن السماء يقول : يجب على الإنسان أن يعتقد أن نفس الأفكار تحدث ، وتحدث مرة أخرى فى عقول الرجال ، ليس مرة واحدة فقط ولكن مرارا وتكرارا [2]. علاوة على ذلك يجزم أرسطو بأن الآراء نفسها تظهر فى دورات بين الرجال ، ليس مرة أو مرتين ولكن مرات عديدة لا نهائية [3]. وبناء على ذلك يتوصل أرسطو إلى نتيجة أن الأشياء قد تم ابتكارها مرات عديدة بقوله ربما وجب الاعتقاد أن الأمور الأخرى قد استنبطت مرارا فى الزمان الغابر لا بل عددا لا يحصى من المرات [4] .

هذه الاقتباسات توضح أن أرسطو كان فى حوار مع المذهب الزرادشتى وكذلك عن التصور الزرادشتى عن الدراما الكونية المتمثلة فى الصراع الدائر والدائم بين أهورامازدا وأهريمان وهو الصراع بين الخير والشر ، فإنه وفقا للموروثات الفارسية يحكم أهورا مازدا وأهريمان بالتناوب ، بحكم كل منهما لمدة ثلاثة آلاف سنة ، ويتشاجران مع بعضهما البعض لمدة ثلاثة آلاف سنة أخرى ، ويحاول كل منهما أن يقضى على الآخر ويدمر ما قد أنجزه [5] . ومن ثم فإنه ليس من قبيل الصدفة أن يحدد كل من يودكسوس الكندوسى وأرسطو أن زرادشت قد عاش قبل وفاة أفلاطون بستة آلاف سنة ، وهذا يعنى أن زرادشت قد وجد بوضوح فى بداية دورة كونية مميزة من ثلاثة آلاف سنة وهى الدورة التى شهدت حكم أهورا مازدا ، بينما يميز وجود أفلاطون نهاية دورة أخرى وبداية دورة لاحقة قوامها ثلاثة آلاف سنة يتصارع فيها أهورا مازدا وأهريمان وهى التى تسبق الدورة الموحشة الثالثة التى يحقق فيها أهريمان اليد العليا [6]. وربما هذا يعنى أنه مع وفاة أفلاطون فقد آلت فترة كونية مميزة إلى نهايتها (فترة من ثلاثة آلاف عام) توقف فيها الصراع بين أهورا مازدا وأهريمان ، وصار من الممكن للحياة أن تكون جيدة وسعيدة – وأنه بعد وفاة أفلاطون يبدأ حكم

---

[1] Aristotle,Metaphysics, translated by W.D.Ross, in Great Books of the Western World, the Works of Aristotle, Vol.1, edited by Robert Maynard Hutchins, The University of Chicago, 1952 , p.605;And See Also : Chroust,Op.Cit,P.213.

[2] Aristotle,On The Heavens,p.361 in The Works of Aristotle, Vol.1.Edited by Robert Maynard Hutchins, The University of Chicago,1982,PP.359-405; Chroust,Op.Cit,P.213.

[3] Aristotle,Meteorology,P.446;Chroust,Op.Cit,P.213.

[4] ارسطو ، السياسيات ، ص ٣٨٢.

[5] Jaeger,Op.Cit,134;Chorust,Op.cit,P.213.

[6] Chrpust,Op.cit,p.214;Jaeger,Op.Cit,P.134.

أهريمان ، حينئذ يكون أفلاطون هو آخر أبناء أهورا مازدا الحقيقيين ، بعده يسود الشر على العالم ولم يعد بإمكان أحد أن يكون طيبا وسعيدا [1].

ومن ثم فإن هذه الدراسة توضح أن أرسطو في محاورة في الفلسفة وفي بعض من كتاباته الأخرى قد أظهر معرفة ملموسة واهتماما ببعض جوانب التعاليم الزرادشتية ، كما توضح أيضا إشارته التاريخية إلى المذهب الزرادشتي في الكتاب الأول من محاورة في الفلسفة المكانة البارزة التي يخصها للمذهب في تاريخ الفلسفة . وقد يلقي هذا أيضا بعض الضوء أنه في الوقت الذي صنف فيه المحاورة كان مهتما بشكل جوهري بالمشكلات اللاهوتية التي تمثل الفكرة المركزية لكل فلسفته مما أدى إلى نوع من التناغم والانسجام بين أرسطو والتعاليم الزرادشتية . وإن كانت هناك ثمة دلالة من ذلك فإنه يمكن القول إنه بحلول منتصف القرن الرابع قبل الميلاد سيطرت هذه التعاليم بوضوح على الفضول الفلسفي والاهتمام الديني للعديد من المفكرين اليونانيين بسبب توجهاتها الدينية ونزعتها الصوفية ومن ثم فلم يكن من المدهش على الإطلاق أن رجال الأكاديمية الأفلاطونية وأعضاءها الأكثر تميزا قد شغلوا أنفسهم بجوانب معينة للتعاليم الزرادشتية [2].

حاول أرسطو إثبات وجود الاله عن طريق صنع الاله وخلقه ، أو كما يقول هو أن فكرة الناس عن الاله قد نبعت من مصدرين ؛ تجاوب الروح وظواهر السماوات [3] ويبدو ذلك في الفرضية التي افترضها عن وجود أناس يعيشون تحت الأرض في عيشة جيدة وحياة سعيدة ولا يعلمون شيئا عما في خارجها ولكنهم فقط لديهم بعض الروايات عن وجود الآلهة أو القوة الإلهية . وقد افترض أنه في وقت ما انشقت الأرض واستطاعوا الصعود إلى السطح ، فإنهم عندما يرون الأرض والسماء والبحر والشمس والقمر والليل والنهار ، وظهور واختفاء الأجسام السماوية ونظامها الثابت ، عندما يدركون كل ذلك فإنهم بالتأكيد سيفكرون في وجود آلهة ، وأن كل ما هو مصنوع وموجود من أشياء رائعة إن هي إلا من صنع الآلهة [4].

---

[1] Chroust,Op.Cit,P.214.
[2] Ibid,P.214,215 .

[3] أنظر: محاورة في الفلسفة ، شذرة ١٣ .
[4] نفس المصدر ، شذرة ١٤ .

ويبدو أن آراء أرسطو هذه قد أثارت انتباه العديد من الفلاسفة والمفكرين الذين استفسروا منه كيف توصل لمعرفة الإله فأجابهم بأنه قد تم التعرف على الاله من خلال الكون وأجزائه والقوى الكامنة فى هذا الكون ، وأعطى بعض الأمثلة بأن كل شيء يدل على صانعه سواء كان منزلا أو مدينة أو سفينة وغير ذلك وكذلك فإذا تأمل أحد السماء بما فيها من كواكب ونجوم والتى تتحرك بشكل منتظم ومتناغم ، وإذا تأمل أحد الأرض والماء الجارى فيها وتيارات الهواء ما بين الأرض والسماء، وإذا حاول أحد إدراك نشاط الكائنات والنباتات ، إذا حاول أى إنسان التفكير والوصول إلى نهاية لكل ما رأى فإن هذه الأشياء لا يمكن أن تكون قد جاءت للوجود دون فن وتخطيط كامل ؛ بل يوجد وسيظل موجود صانع لكل هذا العالم هو الاله ؛ لذلك فإن من يصل إلى الاله إنما يصل عن طريق الدلائل أو عن طريق صنعته كما سبق وتوصلوا للصانع أو الفنان عن طريق صنعته[1] .

قام فيلو الإسكندر بإعادة صياغة الفكرة نفسها فى قطعة من إنشائه يبدو فيها التأثر الواضح بأرسطو فى كتابه فى الفلسفة . وكتب كروست نقلا عن فيلو : إذا كانت المعرفة الفلسفية قد مكنت بعض الناس من التعرف على خالق أو حاكم هذا العالم فإنهم بذلك قد تقدموا من الوضاعة إلى الرفعة كما يقول المثل السائر . فى الحقيقة إنهم عند دخولهم لهذا العالم يكونون كمن دخل مدينة حكمة بالقوانين الجيدة ، وأنهم عندما يتأملون الأرض مطوقة بالجبال النفيسة الممتدة ، والسهول الفسيحة التى تنتشر فيها الشجيرات والأشجار والنباتات حاملة الثمار والفاكهة وكذلك الحيوانات من كل الأنواع وشاهدوا فى الأماكن المختلفة المحيطات والبحيرات والتيارات والسيول الجارفة ،والرياح والنسيم اللطيف ، والتغييرات المنتظمة فى الفصول بالإضافة إلى الشمس والقمر والكواكب والنجوم الثابتة والسماوات فى انتظامها . وعندما أبصروا كل ذلك تعجبوا أشد العجب وأصابهم الذهول وتوصلوا لنتيجة ثابتة أن كل هذا الجمال والروعة وترتيبه الفائق لا يمكن أن يكون مجرد صدفة ، ولكن يجب أن يكون له صانع ، هو خالق العالم ، وأن هذا العالم هو دليل على الصانع لأن هناك مبدأ طبيعياً يقرر بأن القوى الخالقة تهتم بما خلقت [2].

---

[1] انظر: محاورة فى الفلسفة ، شذرة ١٣ .

[2] Chroust,PP.160,161.

ويسوق أرسطو مثالا آخر فيقول : إن من يرى أحد الجيوش وقد سارت فى صفوف منتظمة وفى ترتيب حسن ، الفرسان فى المقدمة وخلفهم المشاة ، يعلم أن هناك قائدا عسكريا يعرف كيف ينظم الخيول والمقاتلين ، وأن من يرى سفينة تشق عباب البحار يعرف أن لها ربانا يوجهها إلى مرفئها . ولذلك فإن هؤلاء الذين ينظرون إلى السماء ويرون الشمس تأخذ دورتها من مشرقها إلى مغربها ، ويرون التوزيع الدقيق للنجوم ، فإنهم يبحثون عن صانع هذا التصميم الرائع ، ويعتقدون أن كل هذا لم يوجد بالصدفة ولكن صنعته قوى عظمى خالدة وهى الاله [1].

وإذا ما نظرنا بدقة إلى هذا العمل للبحث عن الدليلين المقنعين لوجود الاله فى تاريخ الفلسفة الغربية ، وهما الدليل الفلسفى والدليل الكونى ، ونرى أن أرسطو قد قدم الدليل الكونى عن وجود إله فى الفلسفة اليونانية ، أو على الأقل إنه أول مفكر فى العصر القديم يبين هذا الدليل فى مصطلحات فلسفية [2] أما ييجر فيقول إن أرسطو قد ناقش فى كتابه فى الفلسفة المصادر النفسية فى الاعتقاد بالاله [3]، ليس من قبيل الفضول وحب الاستطلاع ولكن من أجل أن يقوم الآخرون بتجربة ما قام هو بتجربته . وأنه كان مدركا تماما أنه لم يكن بوسع علم المنطق أن يدرك قوة الإقناع الداخلى الذى يثيره الإحساس الملهم للنفس ، ولم يستطع أن يخفى إعجابه بإنجاز أرسطو ، فقال : إنه لا يوجد أحد فى العالم القديم قد تحدث بشكل أجمل أو أعمق عن الحياة الدينية من جانبها الشخصى أو العاطفى مثلما تحدث أرسطو فى السنوات التى كان الدين فيها هو القضية المركزية فى تفكيره [4]. ويقول إن أرسطو قد حصل على الاقتناع الذاتى لوجود الاله من مصدرين ؛ من تجربة الإنسان عن القدرة الإلهامية للنفس التى تحرر نفسها من الجسد عند النوم أو عندما يشرف الإنسان على الموت فإنها تعود إلى طبيعتها الحقيقية وتدرك وتنفذ إلى المستقبل بعين المتنبئ. ومن خلال رؤية السماوات

---

[1] انظر: محاورة فى الفلسفة ، شذرة ١٢ .

[2] Chroust,Op.P.162.

[3] Jaeger, Op.cit,P.159.

يقول أرسطو أن اسلافنا فى الأزمنة البعيدة قد تركوا إلى خلفائهم تقاليد أو روايات فى شكل أسطورة بأن هذه (الأجسام السماوية) آلهة وأن الألوهية الطبيعية بأكملها .

Aristotle, Metaphysics,P.604.

[4] Jaeger,Op.Cit,P.159.

المرصعة بالنجوم [1].ويقول إن هذه المعادلة مستعارة من أفلاطون ؛ لأنه فى القوانين قد استنبط الاعتقاد فى الاله من المصدرين ذاتها حيث يقول إن التصديق بالألوهية مستمد من مصدرين : أحدهما نظريتنا عن النفس أو مبدؤنا القائل بأنها أكثر قدما وأكثر ألوهية من أى شىء يستمد الوجود المعمر من حركة كانت لها بداية . والآخر مبدؤنا عن النظام فى حركة الكواكب والأجسام [2]. وقد بين أحد الفلاسفة المتأثرين بأرسطو أن الاله قد خلق العالم بهدف مساعدة البشر على معرفته ومعرفة وجوده من خلال صنعته ، وأنها هى الطريق لمعرفة الإله . ومن ثم فإننا يجب أن ندرك أن أرسطو عندما أشار إلى تناغم الكون وكماله فإنه يعنى بذلك الإله المرئى . ويرى البعض أن أرسطو فى برهنته على وجود الاله فإنه قد أعطى للإنسان حقه من التكريم مثلما أبدى التعظيم والتكريم للإله؛ لأنه رفض أن يدخل الدوافع الحقيرة فى العلاقة الحيوية بين الاله والإنسان ويقال إن أرسطو قد ادعى أن الايمان بالاله وفى وجود الاله لم تنشأ كما حدث فى معظم الأديان القديمة التى قامت على نحو من الشعور الذليل بالخوف والاتكال على تعمد الجهل والخرافة[3] .

إن الصورة الجميلة التى رسمها شيشرون للقوم الذين عاشوا تحت سطح الأرض فى مساكن غاية فى الروعة والفخامة مزينة بالتماثيل والصور فى حياة مريحة وبيئة متألقة ، هذه الدرجة العالية من الراحة المادية توضح أنه حتى تحت الأرض بعيدا عن التنظيم السماوى إلا أنهم كان لديهم القدرة على الحس والتفكير . ولاشك أن شيشرون كان متأثرا بالتأكيد بما كتبه أرسطو فى محاورة فى الفلسفة . كما كان متأثرا إلى حد كبير بالميتافيزيقا حيث يقول أرسطو إن الناس بدأوا يتفلسفون رغم الصعوبات التى واجهتهم فى البداية ، كانوا يتفلسفون لكى يتخلصوا من الجهل ويسعون إلى العلم من أجل المعرفة وذلك بعد أن توفرت لهم ضرورات الحياة والأشياء التى تعود عليهم بالراحة [4] . ومن ثم فإن سكان الكهوف قد حققوا أيضا هذا القدر من الحضارة المادية مما

---

[1] Jaeger, Op.Cit,P.161

[2] أفلاطون ، القوانين ، ص ٥٦٣ .

[3] Chroust,Op.Cit,PP.163,164.

[4] Aristotle, Metaphysics, PP.500,501;And See Also : Chroust,Op.Cit,PP.164,165.

مكنهم من فهم معنى الجمال والنظام بل أكثر من ذلك فقد كانوا قادرين على إدراك النظام الكونى وما فيه من جمال [1] .

الأمر الأول الذى يجب أن نلاحظه هو اعتماد أرسطو فى هذه الفقرة على الكهف فى جمهورية أفلاطون ، والأخيرة تمثيل رائع للتجربة الدينية للفلسفة الأفلاطونية ، خاصة فى النزول بالعالم المرئى إلى مجرد نطاق من الظلال ، ثم إخراج أحد السجناء من الكهف ليرى الوجود الحقيقى [2]، ولكن تشبيه أرسطو اتخذ موقفا جديدا ، فإن رجاله لا يعيشون فى الكهوف ولكنهم يعيشون فى بيئة حديثة ، جهلة متخمون مرفهون طمروا أنفسهم مثل حيوان الخلد [3]. ولكن أرسطو جعلهم يصعدون يوما إلى النور ليشاهدوا الدراما التى يراها هو نفسه ؛ الروعة غير المحدودة للحقيقة ، والبناء السماوى وحركى الكون ، وعلمهم أن يتأملوا العالم المرئى . لقد كان مدركا أنه أول يونانى يرى العالم الحقيقى بعيون أفلاطون [4]. إن التأثير العظيم لعمل فى الفلسفة على العصر الهيلينستى يظهر مرة أخرى من الفقرة الشهيرة التى تكررت مرة ثانية فى كل الكتابات اللاهوتية الرواقية وهى الفقرة إلى حفظها شيشرون للبرهان على وجود الاله فى الكتاب الثالث من عمله فى الفلسفة [5].

وفى هذا المجال فإن اقتباس أرسطو من أفلاطون والمقصود هنا الاقتباس من أسطورة الكهف هو أكثر من مجرد محاكاة ، بل هو تحول بالغ وبعيد المدى عن مذهب أفلاطون الأساسى حيث يوجد بعض التشابه الظاهرى بين إله أرسطو لهذا العالم المنظم والمتحد وبين إله أفلاطون [6].

على أية حال فقد شهد عصر أفلاطون وأرسطو نوعا من الحرية فى دراسة اللاهوت بعد أن كان مقيدا إن لم يكن محرما . فقد عرض أرسطو وأكد كما فعل أفلاطون أن المعرفة بالاله يمكن

---

[1] Chroust,Op.Cit,165.

[2] يقول أفلاطون إن السجين سيبدأ فى استنتاج أن الشمس هى الفصول والسنين وأنها تتحكم فى كل ما فى العالم المنظور وأنها تعنى علة كل ما كان يراه هو ورفاقه فى الكهف .. اما عن رحلة الصعود لرؤية الأشياء فى العالم الأعلى فتتمثل فى صعود النفس إلى العالم المعقول .. فآخر ما يُدرك فى العالم المعقول بعد عناء شديد هو مثال الخير .
أنظر : أفلاطون ، الجمهورية ، ص ٤٢٠، ٤٢٢.

[3] Jaeger,Op.cit,P.163,164.

[4] Ibid,P.164,And See Also : Alexilosev,Aristotle,P.59.

[5] Jaeger, Op.Cit,p.163.

[6] chroust,Op.Cit,p.167.

الحصول عليها عن طريق العقل والتجربة ، هذا التأكيد لم يكن غريبا عن العقل الهيلينستى ولكنه وقف فى مواجهة حادة لوجهة النظر اليونانية التقليدية فى أمور العقيدة . أما بالنسبة لنظرية الكهف الأفلاطونية فإن أرسطو ربما كان متأثرا إلى حد كبير بالتشابه القديم الذى استخدمه ايمبيدوكليس الذى أصر على أنه عندما نشاهد العالم الإلهى من ارتفاع شاهق فإن العالم المرئى يتحول إلى مجرد حفرة أو كهف ولكن من الأوقع أن نقرر أن التشابه الأرسطى الخاص بالكهف هو بشكل أو بآخر اقتباس من التصور الأفلاطونى[1] . وفى التحليل النهائى لذلك فإن أرسطو قد استبدل العالم الأفلاطونى الفائق للمثل المستقلة – الحقيقة الوحيدة والعالم الحقيقى لأفلاطون بتصوره الشخصى عن الحقيقة الوحيدة ذات الدلالة وهى العالم الذى نعيش فيه ، علاوة على ذلك فإن هذا العالم الحقيقى لأرسطو فى ترتيبه الرائع وجمال تكوينه قد أوجده ويتحكم فيه كائن أسمى ، وهو بطريقة أخرى المجال المرئى للكائن الأسمى . هذا النظام البديع يعلن عن وجود الإله الأعلى . هذا الإله الذى يؤمن به أرسطو يعلن عن نفسه وعن وجوده فى هذا الجمال المنقطع النظير . هذا وقد نجح أرسطو فى إيجاد قوى وتواصل بين الإله والإنسان عبر العالم المخلوق من خلال صنعته . ومن خلال الإله المرئى أو الكون الإلهى . أما بالنسبة لأفلاطون فإن العالم المرئى الجسمانى وعالم المثل الفائق فإنهما منفصلان إلى الأبد ومتناقضان ، أما بالنسبة لأرسطو من ناحية أخرى فإن الاله والإنسان والعالم متواصلون دائما ومتآلفون[2] . وهكذا فبدلا من الفلسفة الأفلاطونية التى تسعى إلى التعرف على الإله من خلال عالم المثل غير المحسوس والخيالى نادى أرسطو بأن يكون التعرف على الاله من خلال ما يراه الإنسان من صنع الاله .

---

[1] chroust,OP.Cit,P.167.
[2] Ibid,P.168.

نظرية أرسطو فى النفس التى أوردها فى المحاورة :

يختلف أرسطو فى منهجه وهدفه فى النفس فى محاررة فى الفلسفة إلى حد كبير عن منهجه وعمله فى النفس فى محاورة يوديموس أو كتاب فى النفس ، كما تختلف بشكل مؤكد عن تلك الآراء التى نادى بها فى عمله فى النفس ؛ ولذلك فإن الشذرات الباقية المنسوبة إلى هذه المحاورة على ما يبدو تمثل مذهبا فريدا للنفس . ووفقا لذلك يبدو أن النفس تتمتع بطبيعة خاصة تميزها عن العناصر المادية التقليدية الأربعة وبأن النفس لها طبيعة فكرية أو روحانية خاصة بها ، على الأقل يمكن وصفها بأنها طبيعة غير مادية تشبه إن لم تكن متماثلة مع الطبيعة الإلهية . وبصرف النظر إذا كانت هذه الآراء مقبولة أم غير مقبولة فإنها تمثل أحد فترات تطوره الفلسفى . وقد نادى أرسطو بشكل واضح بأن خصائص الروح هى : (أ) الطبيعة الروحية الخالصة أو غير المادية للنفس ، (ب) جوهرية النفس ، (جـ) فردية النفس ، (د) خلود النفس المفردة (هـ) استقلال النفس عن العالم المادى ، (و) سمو النفس على العالم المادى ،(ز) الطبيعة المشتركة لنفس الإنسان والإله . وهكذا تختلف آراء أرسطو عن النفس فى هذه المحاورة عن باقى أعماله الأخرى[1].

وإذا كان أرسطو يؤمن بأن العناصر الأولى الأربعة الهواء والنار والماء والتراب تنشأ منها أشكال الحيوان والفواكه الدنيوية فإنه يضيف عنصرا خامسا جاءت منه النجوم والنفوس والعقول ، اعتقد أرسطو أنه عنصر متميز يختلف عن العناصر الأربعة المعروفة . وهكذا فإن أرسطو يعد أول من يعتقد وجود نوع خامس من الطبيعة بلا اسم هى طبيعة كل من الآلهة والعقول والنفوس ، وأشار إلى هذا العنصر الخامس بأن قام بخلق العالم بتوحيد العناصر الأربعة فى عنصر واحد [2]. هذا العنصر الخامس ربما ليس كما يتصوره بعض العلماء بأنه الأثير ، لأن أرسطو فى محاورة عن الصلاة لم يقل إن الاله هو الأثير ولكنه قال : إن الاله إما أن يكون عقلا أو شيئا ما أسمى من العقل[3]. ولما كان أرسطو قد قال إن النفس البشرية هى نفس طبيعة الآلهة أو الاله فإن ذلك يعنى

---

[1] Chroust,Op.Cit,P.194.

[2] انظر: محاورة فى الفلسفة ، شذرة ٢٧ .

[3] انظر : محاورة فى الصلاة .

أن الأثير لا يمكن أن يكون مادة النفس البشرية ، علاوة على ذلك فإن هذا العنصر الخامس الذى لا اسم له لا يجوز أن يقال عن الأثير [1].

ومن ثم فإنه وفقا لما ذكره أرسطو بأن الروح ليست مماثلة أو مجانسة لأى من العناصر الأولى الأربعة وبالتالى فإنها لابد أن تكون روحانية غير مادية أى أنها يجب أن تكون لها طبيعة خاصة بها مختلفة جوهريا عن طبيعة جميع الأشياء المادية فهى ليست نار (الأثير) ، هواء ، ماء أو تراب ، كما أنها ليست خليط من هذه العناصر المادية . فهى لا تشترك بأى سبيل كان فى هذه العناصر المادية الأربعة ، كما أنها لا تشمل أى مزيج من هذه العناصر الأربعة . علاوة على ذلك فإن أرسطو قد منح النجوم والنفس البشرية المادية الخاصة التى لم يقم لها مسمى ؛ حركة مستمرة تلقائية . بمعنى حركة دائرية ومستمرة تامة بلا نهاية [2]. إن هذه الحركة الدائرية التى هى عمدية دليل أيضا على كمال أو سمو النفس لأنها كاملة فإن هذه الحركة الدائرية لا يمكنها أبدا أن تتغير أو تتوقف . وعلى الرغم من أن النفس لها إرادة حرة فإنها بسبب كمالها لا تزيد التخلف أو الدمار من خلال هجران حركتها الدائرية والمستمرة وبذلك تكون حركة النجوم وحركة النفس متماثلة. إن استمرارية العقل فى أنشطته الدائمة ترتبط على ما يبدو باستمرارية الحركة الدائرية للنفس ، كما أن أكمل الحركات الدائرية والمستمرة تتمثل فى مسار النجوم ، ونتيجة لحقيقة أن النفس قريبة الصلة من النجوم السماوية الإلهية ، ومن ثم فإن الطبيعة الخامسة التى يتحدث عنها أرسطو ماهى إلا طبيعة كل من الآلهة والعقول [3]. أما آراء أفلاطون فى هذا الصدد والتى أكد فيها على أن النفس ذاتية الحركة وخالدة فإنه يقول : إن من يستمر فى تحريك ذاته دائما لابد أن يكون خالدا فى حين أن الذى يحرك غيره فإنما يتحرك بغيره . وتوقف حركته هو توقف لحياته ووجوده.

---

[1] Chroust,Op.Cit,P.197.

[2] فإن علة حركة السماء الدائرية تظل غامضة : إذ ليس جوهر النفس هو علة هذه الحركة الدائرية بل بالعرض تتحرك النفس هكذا . وليس الجسم أيضا هو هذه العلة ، بل الأولى أن تكون النفس لا الجسم ، ولم ينقل إلينا أن هذا الضرب من الحركة هو الأفضل إلا أنه يجب أن تكون العلة ، التى من أجلها جعل الاله النفس تتحرك دائريا ، هى أن يكون الأفضل لها أن تتحرك من أن تسكن ، وأن تتحرك على هذا النحو، لا على نحو آخر .
أرسطو ، النفس ، ص ٢٣ .
انظر ، أفلاطون ، القوانين ، ص ٤٦٩ .

[3] Chroust,Op.Cit,PP.197,198.

أما من يحرك نفسه فهو وحده الذى لا يكف عن الحركة لأنه لا يمكن أن يهمل نفسه وهو مبدأ ومصدر الحركة فى كل متحرك . والمبدأ لا يكون حادثا لأن كل حادث يحدث بفضل مبدأ فى حين أن المبدأ لا يصدر عن شىء سابق عليه إذ لو جاز صدوره عن شىء فلن يكون هذا الشىء مبدأ له[1]. وهكذا يبدو أن أفلاطون قد أدرك أنه إذا كان عليه أن يحدد السبب المطلق للتغيير والحركة فإن عليه أولا أن يحدد من الذى أوجد أو يتمكن من إيجاد الحركة ذاتها ، وأن النفس هى ما يمكن أن يحرك ذاته[2] . أما أرسطو فقد عبر عن مفهوم الاستمرارية وعدم الفناء بمصطلح الجوهر الفعلى ، ويمثل ذلك خاصية بارزة وترتبط بمفهوم العقلانية (المتضمنة فى مصطلح الجوهر الفعلى) على أنها الخاصية الأكثر بروزا للنفس ، بمعنى آخر أن النفس تعيش بعد وفاة الجسد وهذا الخلود الشخصى هو أهم السمات المميزة للنفس الفردية [3].

وإذا كان أرسطو هو أول من قال بوجود طبيعة خامسة هى طبيعة الآلهة والعقول أو النفوس البشرية على حد سواء فذلك لكى يفسر طبيعة هذه القوى التى وصفها بالإلهية ويعنى ذلك أن النفس فوق الحس كما يعنى خلودها . إن القوى العقلية للنفس البشرية متماثلة أو على الأقل مشابهة للقوى الإلهية . باختصار إن الملكات الفكرية للنفس البشرية دالة على طبيعتها المشتركة مع الاله بمعنى أنه أيا كان ما يتمتع بقوة الذاكرة والفكر والبصيرة فإن ذلك لا يأتى من الاله فقط ولكن لابد أيضا أن يكون مماثلا لله ، ومن ثم يجب أن تكون إلهية وبالتالى خالدة [4].

وهكذا أوضح أرسطو نشوءها أن الأنشطة الصحيحة للنفس البشرية والعقل البشرى لا يمكن أن يكون حدوثها أو نشوئها أو أن لها أصلا فى العناصر المادية الأربعة ولكن كما يزعم أرسطو أن هذه الأنشطة لابد وأن تكون نتاج أو تأثير عنصر مختلف من حيث طبيعته الحقة وجوهره ؛ أكثر كمالا ونقاء من أى عنصر من هذه العناصر الأربعة . وتتواصل آراء أرسطو لتؤكد أن النفس وأنشطة العقل هى فى الحقيقة إلهية أو روحانية ، وبسبب هذه الصفة الإلهية أو الروحانية لابد من وجود طبيعة يقينية مشتركة لله والنفس البشرية المستقلة .

---

[1] أفلاطون ، فايدروس ، ص ٦٩ .

[2] Chroust,Op.cit,p.199.

[3] Ibid,P.199.

[4] Ibid,P.200.

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه هل هذه الطبيعة الخامسة أو العنصر الخامس ماهو إلا الأثير؟ البعض ينفى أن تكون الطبيعة الخامسة المرتبطة بالروح هى الأثير ، بينما يرى البعض الآخر أن المصدر الذى اعتمد عليه شيشرون فى اقتباس الشذرة التى تتحدث عن الطبيعة الخامسة قد قام بدمج المذهب الأرسطى العنصر الخامس مع التصور الرواقى عن النار أو الأثير النارى ، ويرى بعض آخر أن هذه النار الرواقية أو الأثير النارى ليس إلا استبدال للمفهوم الأرسطى عن الأثير [1]. وهكذا فإن مفهوم تطابق النفس مع الأثير وفقا لرأى كثير من العلماء قد ظهر بعد أرسطو أى ينسب إلى الرواقيين وبمعنى أدق إنه لا ينسب إلى أرسطو . أما أصحاب الرأى القائل إن الطبيعة الخامسة أو العنصر الخامس إنما هو من الأفكار الأصلية لأرسطو وأن هذه الطبيعة هى الأثير على أغلب الظن ، والجدير بالذكر أن هذا الموضوع قد تمت مناقشته فى الأكاديمية فى حياة أفلاطون حيث كان يدور النقاش حول مسألة ما إذا كانت النفس هى الأثير [2].

وفى ضوء ذلك ربما لا يتم التوصل إلى اتفاق بشأن هذه القضايا ؛ لأن البعض يرى أن هناك تزييف لآراء أرسطو بإدخال بعض التصورات الرواقية عليها ، وأن أرسطو عندما يتحدث عن العنصر الخامس أو الطبيعة الخامسة ترتبط بالنفس فإنه لا يعنى بذلك الأثير وذلك لأن الأثير يبدو فى الأساس عنصر مادى بينما النفس وفقا لمفهوم أرسطو ليست مادية ، ومثل ذلك الشىء وليس به أى مزيج من أى من العناصر المادية وأن النفس تماثل الاله أو العقل ومن ثم فإنها لا يمكن أن تكون هى الأثير ، لأننا إذا علمنا أنه يوجد نوعان من الوجود ألا وهما النفس من ناحية والأشكال أو العناصر المادية التى هى الماء والتراب والهواء والنار والأثير من ناحية أخرى فإن ذلك يستبعد تماما أن يكون الأثير هو جوهر النفس [3].

أما إذا تساءلنا من أين استقى أرسطو معلوماته بأن النفس هى طبيعة روحانية غير مادية مشتركة جوهريا مع الإله ، وهل كانت هذه الرؤية الخاصة قد نتجت عن مناقشاته ودراساته أم أنه جمعها من مصدر آخر ؟ هناك تصور بأنه قد تلقى رؤيته غير العادية عن النفس الروحانية التى لا

---

[1] Ibid,P.201.
[2] Ibid,P.202.
[3] Ibid,P.203.

اسم لها تشترك مع الاله فى الجوهر – هى مسألة غير عادية لفيلسوف يونانى – من بعض التعاليم الزرادشتية عن النفس . وإذا كانت محاورة فى الفلسفة توضح لنا أن أرسطو كان ملما ببعض المذهب الزرادشتى ، حينئذ يكون من المحتمل أن يكون هذا المذهب هو المصدر المطلق لعقيدته عن النفس [1].

---

[1] Ibid,P.204.

مفهوم أرسطو عن الاله فى محاورة فى الفلسفة

قدم أرسطو مجموعة من النظريات والآراء بدون ترتيب أو نظام عن وجود الاله أو تحديد الإله ، ولا ندرى إن كان يعطى مجموعة من التعريفات أو الافتراضات دون أن يتخذ رأيا أو قرارا حاسما فيما طرحه من آراء ، الأمر الذى أثار ضده حفيظة الأبيقوريين الذين كانوا على جفاء مع أرسطو وفلسفته . ومن ثم فإنه يبدو أنهم قد استغلوا الفرصة للانقضاض على أرسطو ومهاجمته . وقد حدد فيلوس Velleius أربعة تعريفات [1] ساقها أرسطو عن الاله وانتقدها فيلوس لأنها متناقضة ، وهى أن العقل هو الاله وأن الكون هو الاله وأنه يوجد إله آخر له قوة توجيه هذا الكون والحفاظ عليه ، وأن الأثير الذى فى السماء هو الاله . وبعد ذكر هذه التعريفات الأربعة تتواصل انتقادات فيلوس لإظهار اعتراضاته فيقول فى أول اعتراض له إن أرسطو عندما عرف الاله بأنه الأثير فإنه يفقد رؤية حقيقية بأن السماوات أو الأثير هى جزء من ذلك الكون الذى زعم أرسطو فى فقرة أخرى أنه الاله . وكيف يمكن لهذا العقل الإلهى الذى يتوافق مع السماوات أن يتحمل ويبقى دائما كما هو فى السرعة التى لا يمكن تخيلها للسماوات الدوارة بشكل دائم ؟ وماذا سيحدث للعديد من النجوم الإلهية إذا كنا سنطلق على السماوات اسم الاله ؟. وعندما يؤكد أرسطو أن الاله بدون جسد مادى فإنه بالفعل يجرد الاله من كل الحواس والأحاسيس بما فى ذلك الحكمة . وكيف يكون من المحتمل أن يتحرك الكون إذا كان بلا جسد ؟ وكيف يمكن لهذا الكون أو الاله إذا كان يحرك نفسه أن يحصل على السكون الهادئ أو السعادة الحقيقية اللتان هما الصفتان المميزتان للألوهية [2].

إن التعريف بأن العقل هو الاله يثير عددا من المشكلات ؛ لأن أرسطو إذا كان قد عرف الاله بأنه الفكر الخالص فإن ذلك يحظى ببعض التأييد فى مؤلفاته مثل كتاب الميتافيزيقا [3]، وكذلك فى

---

[1] انظر شذرة ٢٦ .

[2] Chroust, Aristotle, 11,PP.177,178.

وتفسير ذلك ان هذا الإله غريب تماما عن العالم وليس له عليه أى تأثير مباشر ، ولا يمكنه أن يدرك الكون ويعلمه ؛ ولا يمكنه أن يتدخل فى أموره لأن الكون نشأ عنه بلا إرادة ولا قصد .

البير ريفو ، الفلسفة اليونانية ، أصولها وتطورها ، ترجمة، د٠ عبد الحليم محمود؛ د٠ وأبو بكر زكرى ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٧٢ .

[3] Aristotle, Metaphysics, PP.602,603 .

محاورة عن الصلاة عندما يقول إن الاله إما أن يكون عقلا أو شيئا ما أسمى من العقل [1] . كما يقول أيضا فى محاورة دعوة للفلسفة أن العقل وحده هو الإلهى ؛ وهذا هو الجزء الوحيد الخالد بداخلنا وهو الوحيد الإلهى . ومن ثم فإن الإنسان يعد إلها إذا قورن ببقية المخلوقات [2]. وهكذا فمن مصادر كتابات أرسطو المتنوعة يمكن استنتاج أنه قال إن الوجود المطلق أو الاله المطلق هو العقل الخالص أو الفكر الخالص ، عقل العقول . ومن ثم فإن الاله يوجد وراء الكون الإلهى ، وفى الحقيقة فيما وراء العقل البشرى [3].

التعريف الثانى بأن الكون هو الاله ، فإذا كان أرسطو قد أطلق على الكون اسم الاله المنظور الضخم الذى يضم الشمس والقمر وهيكل الكواكب والنجوم الثابتة ، هذا التعريف لا ينسجم تماما مع التعريف السابق لله المطلق ؛ لأن الاله المطلق له القدرة على تدمير الكون (الإله المنظور) وعلى خلق كون جديد . وهكذا فإن الاله المنظور لابد أن يكون متوقفا على الاله المطلق . وقد قام بعض الفلاسفة بتحليل ذلك ، ويمكن الاستنتاج أن أرسطو كان يرى أن الاله المطلق هو خالق وقائد للكون أو الاله المنظور وحافظه ، ومن ثم لا يمكن أن يكون متآلفا معه ، علاوة على ذلك يعتقد هؤلاء الفلاسفة أن رؤية الكون (الاله المنظور) تؤدى بالبشر إلى التسليم بوجود الاله المطلق الذى هو متميز تماما عن الكون الإلهى ، وأن هذا الكون أو الاله المنظور هو فى أفضل الأحوال دليل بل أكثر الأدلة وضوحا على وجود الاله المطلق غير المنظور ، وهكذا لن يكون هناك أى تناقض إذا افترضنا أن أرسطو فى محاورة فى الفلسفة يميز بين الاله المطلق السامى – الذى هو الإله الحقيقى وبين كون إلهى أى كون خالد أزلى دائم التحرك [4].

د. أميرة مطر ، الفلسفة اليونانية ، ص ٢٧٤ ؛ وأيضاً : د. عبد الرحمن بدوى ، أرسطو ، ص ١٧١ ؛ البير ريفو ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

[1] انظر محاورة عن الصلاة .

[2] أرسطو ، دعوة للفلسفة ، ص ٤٠ .

[3] Chroust,Op.Cit,P.178.

[4] Ibid,P.179.

التعريف الثالث بأن الاله أو الإله هو فى الحقيقة حاكم آخر على الكون الإلهى ، وتنسب إليه قوة توجيه الكون الإلهى والإبقاء على حركته من خلال نوع من التحرك العكسى [1] أثار كثيرا من المناقشات وحظى بالعديد من التفسيرات ، وربما يشير ذلك إلى مفهوم الحركة العكسية فى محاورة أفلاطون رجل الدولة [2] أو ربما يشير إلى حركة الكواكب والنجوم وتوافقها مع الإله السامى ، وهكذا يتحكم فى حركة الكون عن طريق نوع من الحركة العكسية أو ربما يشير إلى الحركة العكسية للكواكب وعلاقتها بالنجوم الثابتة . يقول كروست إن العالم برنايز يرى أن الاله السامى هو فى الحقيقة المحرك الذى لا يتحرك فى أعمال أرسطو المذهبية [3]. بينما يرى بيجر أن الاله الذى يخضع له العالم هو المحرك الذى لا يتحرك الذى يدبر العالم كغاية نهائية بسبب كمال فكره الخالص، وهذه هى النواة الأصلية للميتافيزيقا الأرسطية [4]. ويتابع بيجر قوله إنه ستظل استحالة الافتراض أنه بمقدورنا أن نقرر ما إذا كان أرسطو نفسه أو بعض أعضاء الأكاديمية أول من فكر بنظرية المحرك الذى لا يتحرك ، وطبقها على مسألة حركة الكواكب وذلك لأن طبيعة دراساتهم المشتركة تعوق أو تمنعنا من التمييز بين الجزء الخاص بكل منهم . إن فكرة النظرية الأفلاطونية ، بل يمكن القول إنه لا يمكن لهذه النظرية أن تظهر بذاتها ولكن فقط من خلال عالم الفكر الأفلاطونى، وقد استخدمها أرسطو فقط للمبدأ السامى المتميز عن العالم الذى لا يتحرك مطلقا ، أما النجوم والسماوات من

---

[1] نستنتج مما قاله أرسطو فى كتاب السماء أنه يوجد خمسة عناصر وأن لكل نوع منها حركة خاصة مع أنه لا يوجد إلا نوعان اثنان من الحركة الأولى إلى الأمام وعكسها إلى الخلف أو كما يرى البعض أنها إلى أعلى وهى للنار والهواء وعكسها إلى أسفل للماء والتراب ، أما النوع الثانى من الحركة وهى الحركة الدائرية فلا يوجد لها عكس .
Aristotel, On The Heavens, PP.261,261 ; Jaeger , Aristotle, P.153 .

[2] غير أن حركته هى بقدر الإمكان واحدة وفى المكان عينه ، وهى لذلك عرضة للتغيير فى الاتجاه المضاد فقط الذى هو التغيير الأقل إمكانا . مرة ثانية إن قائد كل الأشياء المتحركة يكون قادرا منفردا أن يديرها من ذاته أبديا ، أما أن يعتبر أنه يحركها فى وقت واحد فى اتجاه واحد ، وفى وقت آخر فى الاتجاه المضاد فهو تجديف . وإذا أخذنا هذا بعين الاعتبار فيجب ألا نقول إن العالم يدير نفسه إلى الأبد ولا نقول مرة ثانية أن الاله بسبب دورانه كاملا وإلى الأبد ، فى اتجاهين مضادين أو أخيرا أن الهين اثنين لديهما أغراض متناقضة جعلاه يتحرك دائريا ، لكنى كما قلت سابقا العالم يرشد فى زمن واحد بقوة الهية خارجية وينلقى حياة جديدة وخلودا من يد المبدع المجدد ، ويتحرك مرة ثانية تلقائيا عندما يطلقه ، كونه ترك حرا فى وقت كهذا كى يمتلك حركة عكسية خلال ملايين الدورات .
أفلاطون ، رجل الدولة ، ص ١٣٠ .

[3] Chroust,Op.Cit,P.180

[4] Jaeger,Op.Cit,P.139.

ناحية أخرى فإنها تحرك ذاتها [1]. وإن كان البعض يرى أن أرسطو لم يتحدث بوضوح عن محرك لا يتحرك أو يشير إلى كون إلهى ذاتى الحركة ، كما يؤكد البعض أن أرسطو يكشف بالمصادفة فى محاورة فى الفلسفة مبدأ المحرك الذى لا يتحرك ، ويوجه البعض النقد إلى هذه النظرية بأن النجوم الإلهية لا يمكنها أن تتحرك عكس طبيعتها وأن التأثير الذى يتمتع به المحرك الذى لا يتحرك على النجوم ؛ لن يكون عكس طبيعتها [2].

وقد أسهمت هذه المناقشات والاختلافات العلمية كثيرا فى فهم أفضل لتعريف أرسطو لله على أنه حاكم آخر على الكون ينسب إليه قوة توجيه تحركات الكون والمحافظة عليها عن طريق نوع ما من الحركة العكسية ، وذلك لأن النظر أو الرؤية من دورة أو مدار معين لأية دورة أو مدار آخر يبدو دائما أنها حركة عكسية ، ومن ثم توجد علاقة بين تحركات النجوم الثابتة التى هى حركة أولية وبين تحركات الكواكب التى هى بالفعل حركة ثانوية . ومن ثم فإن هناك علاقة بين تحركات النجوم الثابتة التى هى حركة أولية وتحركات الكواكب التى هى حركة ثانوية . ولذا فإن حركة الكواكب فقط يمكن أن نطلق عليها نوع من الحركة العكسية شريطة أن ترى الأخرى فى علاقتها بالنجوم الثابتة وحركاتها . وهذا الإله الآخر لا يمكن أن يكون العقل الخالص أو الإله الذى يتطابق مع الكون ، هذا الحاكم الآخر مسئول عن توجيه حركة الأجرام السماوية والحفاظ عليها ، ومن ثم لابد أن يكون هذا الإله متميزا عن الكون الإلهى وكذلك عن سماوات النجوم الثابتة [3].

---

[1] Ibid,P.142.

[2] Chroust,Op.Cit,pp.181,182.

يعرف أرسطو المحرك الأول بأنه محرك لا يتحرك أصلا ، ولا من شأنه أن يتحرك لا بالذات ولا بالعَرَض وإذا كان ذلك كذلك فهذا المحرك أزلى ضرورة والمتحرك عنه أيضا أزلى الحركة ، لأنه إن وجد متحركا بالقوة فى حين ما عن المحرك الأزلى ، فهناك ضرورة محرك آخر أقدم من المحرك الأزلى . ويتصف هذا المحرك الأول بأنه فعل محض لأنه صورة ، والصورة هى الفعل ، وهو صورة خالصة ، فهو إذن فعل خالص أو فعل محض ، وإذا كان فعلا محضاً فلا يمكن أن يكون ماديا أوجسمانيا وذلك لأنه صورة خالصة ، ولأن كل ما هو جسمانى محدود بالضرورة .

عن المحرك الأول ومواصفاته وصفاته وفعله ، انظر :

Aristotle, On the Motion of Animals, Translated by A.S.L Farquarson , in Great Book of The Western World , The Works of Aristotle, Vol,11,PP. PP.233,236; And See Also : Physics, PP.344,345,355; Metaphysics,P.532.

ابن رشد ، تلخيص ما بعد الطبيعة ، حققه وقدم له : د٠ عثمان أمين، مطبعة الحلبى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ ؛ وأيضا : د.عبد الرحمن بدوى ، أرسطو ، ص ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٧٠ ؛ د. أميرة مطر ، الفلسفة اليونانية ، ص ٢٧٣ .

[3] Chroust,Op.Cit,p.183.

التعريف الرابع أن الاله هو الأثير أو الأثير النارى وذلك أن أرسطو ينظر إلى الأثير على أنه عنصر خامس بالإضافة إلى العناصر الأساسية التقليدية الأربعة . هذا العنصر يسمى الجسم الأول أو الجسم السماوى وهو شيء لا يضاهى التراب ولا النار ولا الهواء ولا الماء ويطلق عليه الأثير وهو مصطلح مشتق من حقيقة كونه يعمل دائما من الخلود والأبدية [1]. وأن هذا العنصر يملأ العالم العلوى [2]. ولأن هذا الأثير يوجد فوق كل العناصر المتغيرة فهو إلهى وغير قابل للتغيير فى العالم المادى الذى يتألف من العناصر المتغيرة . ونظرا لإمكانية إثبات الحياة فى كل العناصر فبعضها كائن فى التراب وآخر فى الماء والهواء والنار ، فلابد من وجود بعض الحياة فى الأثير كذلك . وإذا كانت النجوم فى الأثير فهى أيضا أشياء حية [3] ويقول فيلو إن الأثير ليس ذلك العنصر الذى يشكل النجوم الإلهية فقط ولكنه أيضا الجزء الأسمى من الكون الفيزيقى ، مقام الاله السامى . وإذا كان الأمر كذلك فإنه من المحتمل بل يجب التسليم بأن أرسطو قد قدم بالفعل نظرية العنصر الخامس الإلهى أثناء إقامته بالأكاديمية الأفلاطونية ، كما يبدو من المفترض أن تكون هذه النظرية قد تمت مناقشتها والموافقة عليها من بعض أعضاء الأكاديمية ، وربما من أفلاطون ذاته[4].

من هذه التعريفات الأربعة لله أو الإله قد نستنتج أن أرسطو قد طور بالفعل مفهومين عظيمين : مفهوم إله كونى (أو الاله المنظور) الذى هو الكون ذاته ، ومفهوم الاله السامى الذى يفوق الكون وهو نفسه العقل الخالص وربما أيضا المحرك الذى لا يتحرك . وربما يمكن القول إن الإله الكونى بالنسبة لأرسطو قد يكون تجسيدا لله أو الاله السامى المنظور . ومع ذلك فقد وجدت بعض الاعتراضات على هذه التعريفات .

١- إن إطلاق أرسطو اسم الأثير على الاله فإنه بذلك يتناسى حقيقة أن السماوات أو الأثير ماهو إلا جزء من الكون الذى نعلم أن أرسطو قد أطلق عليه اسم الاله أو الاله المنظور [5]. كما أنه إذا كانت النجوم التى نراها موجودة بالأثير لها حياة ، فإنه تمشيا مع دقة وحركة الأثير فلا بد أن

---

[1] Aristotle, On The Heavens, P.361, 362 .
[2] Aristotle, Meteorology,P.446.
[3] Jaeger,Op.cit.P.146.
[4] Chroust,Op.Cit,P.184.
[5] Ibid,P.185.

تكون النجوم عالية الذكاء والسرعة ، ولكى نوسع من العلاقة بين العناصر والأشياء التى تعيش فيها فلابد أن تكون العلاقة بين نوعية النجوم الفكرية وقوى الأثير الحية متوازنة مع العلاقة بين الذكاء وتكوين الإنسان من ناحية وبين مصادره الغذائية وظروف معيشته المناخية من ناحية أخرى. لذلك فحيثما يكون الهواء نقيا ورقيقا يكون السكان أذكياء ثاقبى الفكر وسريعى التأمل عن أولئك الذين يعيشون فى وسط مناخ كثيف وثقيل ، ينطبق الشىء نفسه على آثار النور والطعام الثقيل على العقل البشرى . ونظرا لأن النجوم تعيش فى منطقة الأثير وهو أرق كل العناصر ، ونظرا لأنهم يتغذون على ما يخرج من الأرض والبحر الذى يصير فى رقة وصفاء متناهى بعد أن يتم تنقيته أثناء عبوره للفضاء ، فلابد أن يكون للنجوم ذكاء من أعلى نوع . وإن صحة ذلك الاستدلال تؤكد أن ذلك لا يمكن أن يكون من نتاج الطبيعة المادية التى لا تسلك سلوك الكائن العاقل الواعى ، ولا تفسرها الصدفة ولذلك فلابد أن تكون هذه الحركة المنسقة نتيجة قصد واع ونية داخلية [1] .

٢- إذا كان الاله بدون جسد مادى وبدون عناصر جسمانية فإن الاله أيضا بدون كل الحواس والأحاسيس بما فى ذلك الحكمة . فكيف يمكن أن يتحرك الكون إذا كان بدون جسد وبدون عناصر جسمانية ، فكيف يستطيع هذا الكون الإلهى إذا كان بالفعل يحرك ذاته أن يحقق الصفاء الهادئ والسعادة الحقيقة ؟ إن أرسطو يقول إن الفكر الخالص ليس أبدا هو السماوات ولا الأثير ولا النجوم الإلهية ولا الكون ، ومن ثم فإن تصوره عن الفكر الخالص لا يمكن أن يتعارض مع تصور النجوم الإلهية أو الكون الإلهى أو السماوات الإلهية . وعلى ذلك فإن حل هذه القضية يكمن فى الافتراض أن الأثير هو الاله أو الإله ، ويؤدى ذلك إلى القول إن النجوم أيضا آلهة . بمعنى آخر أن النجوم الإلهية هى الأثير وأنها تشترك فى ألوهيته الذى هو أيضا الكون المنظور . هذه المظاهر المتعددة والمتنوعة ؛ السماوات والأثير والنجوم الإلهية والكون بصفة عامة لا تتعارض مع بعضها لأنه من المسموح أن نطلق على السماوات اسم الاله أو الاله المنظور ، وفى الوقت نفسه نشير إلى النجوم أو الأثير باسم الاله المنظور ، بمعنى آخر فإن الكون المنظور كله ليس إلا هذه الأجزاء

---

[1] Jaeger,Op.Cit,P.149;And See Also : Chroust,Op.Cit,p.187.

الإلهية من العالم كالسماوات والنجوم والأثير ، وهذه - الجوانب المرئية - هى إحدى جوانب نفس الإله السامى أو الفكر الخالص [1].

٣- عندما يؤكد أرسطو أن بدون جسم أو عناصر جسمانية فإنه يجرد الاله من كل الحواس والأحاسيس [2]. بما فى ذلك الحكمة عندما يقول إن الاله هو الفكر الخالص أو العقل ، كما أن ذلك يتعارض مع القول إن الاله هو الأثير أى مادة جسمانية على نحو واضح ، وكذلك النجوم الإلهية فإنه يمكن رؤيتها ومن ثم فلابد أنها جسمانية ، ويؤدى ذلك إلى تناقض شديد إذ كيف يخلط بين الاله السامى الذى لا يمكن رؤيته ومظاهر الاله التى يمكن رؤيتها أو الاله المنظور [3].

٤- كيف يمكن أن يتحرك الكون إذا كان بدون جسد ، وكيف إذا كان بالفعل يحرك ذاته أن يحقق الصفاء والسعادة ، وذلك مع تعدد التعريفات لله بأنه الفكر الخالص و المحرك الذى لا يتحرك، وتلك التعريفات تماثل الاله مع الكون ومع الأثير ، أى أنه جسمانى وفى حركة دائمة . فإذا كان الكون الإلهى بدون جسد فكيف يمكنه التحرك ، وإذا كان الكون الإلهى فى حركة دائمة فكيف يكون صافيا وهادئا وسعيدا ، ويمكن حل هذا الالتباس إذا وضعنا فى الاعتبار أن أرسطو قد وضع تصورين متميزين للإله ، الفكر الخالص أو المحرك الأول الذى لا يتحرك وهو غير جسمانى وهادئ تماما وسعيد كلية ، والإله المنظور (الكون الجسمانى) الذى يتحرك بصفة دائمة . إن حقيقة أن أرسطو قد أطلق على الكون الجسمانى الذى يتحرك بصفة أبدية لا تعنى مع ذلك أنه يماثل أو يخلط بين الإله المنظور والإله غير المنظور . كما يجب أن نضع فى الاعتبار أن مصطلح الإله فى الفلسفة اليونانية عادة ما يرمز بصفة مجردة إلى شىء ما ليس خاضعا لكون أو فساد عادى . وعلى ذلك فإن أرسطو يشير إلى مفهومين متميزين عن الاله أو عن الإله وهما الاله الذى لا يمكن رؤيته والاله الذى يمكن رؤيته أو مظهر الاله الذى لا يمكن رؤيته . والحقيقة أن واحدا فقط من هذين

---

[1] Chroust,Op.Cit,PP.188,189.

[2] يقول أفلاطون إن الاله لا يعرف كيف يفرح ولا كيف يحزن .

See : Plato,Philebus,PP.620,621.

[3] Chroust,Op.Cit,P.189.

التعريفين يرمز إلى الفكر الخالص ؛ هذا الفكر الخالص ربما لا يكون المحرك الذى لا يتحرك أو المحرك الأول فى أعمال أرسطو اللاحقة ، وفى جميع الاحتمالات هو الاله السامى [1].

إن هذا الكائن السامى الإلهى الذى يعرف بالعقل الذى يحرك الكون كله وكأنه الغاية المطلقة للكون دون أن يتحرك أو يحرك ذاته . إن القول إن الفكر الخالص يمثل الاله الحقيقى لمحاورة فى الفلسفة يحظى بتأييد إضافى من محاورة أرسطو عن الصلاة عندما يوضح بجلاء أن الاله عقل بل شىء يفوق العقل K فى هذه الشذرة يعرف الاله بالعقل أى بالفكر الخالص أو عقل العقول الذى يفوق الاحساس بالفطنة أو الحكمة . بهذا الأسلوب لا يؤكد أرسطو فقط على الروحانية الخالصة لله ولكنه يؤكد أيضا أنه بأسلوب ما فإن الاله يفوق بالفعل الفكر الخالص أو العقل وكذلك الكون الإلهى والفكر البشرى [2].

إن هذه التناقضات التى أظهرها فيلوس على تعريفات أرسطو لله تشير فى الحقيقة إلى اختلاف مذهبى بين أرسطو والأبيقوريين ولكنها قد تشير فى الوقت نفسه إلى عدم توافق محتمل فى فكر أرسطو عندما يطرح مفاهيم وتعريفات معينة عن الاله دون أن يتمها أو يلتزم بتعريف واحد منها . وقد يعكس عدم التوافق هذا عن اختلاف الآراء وتصارعها داخل الأكاديمية بشأن طبيعة الإله أو الاله ، ومن ثم فقد وجد الأبيقوريون الفرصة للانقضاض على أرسطو .

وفى النهاية يتضح أن أرسطو قد ذكر فى محاورة فى الفلسفة عدة تعريفات لله ولم يكن فى حاجة إلى قول الحقيقة بأنه عندما يسمى شيئا إلهيا لا يجعله بالضرورة إله وإنما كان يطلقها على أى شىء لا يخضع للفناء ، ومن ثم فإذا كان أرسطو يشير إلى الكون والاثير والنجوم على أنها إلهية أى فوق البشر ولا تخضع للفناء فإنه فى هذه الحالة يكون العقل وحده هو الاله الحقيقى الوحيد – الاله السامى بينما كل الأشياء الإلهية الأخرى وجدت لكى يظهر الاله السامى نفسه من خلالها [3].

---

[1] Chroust,Op.Cit,P.190.
[2] Ibid, P.191.
[3] Ibid, PP.192,193.

ثانيا : إلى الاسكندر

To Alexander

إلى الإسكندر To Alexander

لم يبق من هذه المحاورة إلا شذرتين إحداهما عند فلوتارخ والأخرى عند سترابو وكلتاهما تتحدث عن النصيحة التى أسداها أرسطو للإسكندر ، وقد جاءت الشذرتان على النحو التالى :

- ١ -

لم يأخذ الإسكندر بنصيحة أرسطو بأن يلعب دور القائد لليونانيين ودور السيد للأجانب (البرابرة) وأن يدعى اليونانيين كأصدقاء وأقرب وأن يعامل الأجانب كحيوانات أو نباتات ، ولهذا فقد امتلأ عهده بالحروب والبعد عن الوطن والصراعات السياسية ؛ لقد تصرف بطريقة واحدة مع الجميع [١].

- ٢ -

رفض ايراتوسثينس Eratosthenes[٢] فى خاتمة تقديره أن يمتدح أولئك الذين قاموا بتقسيم الجنس البشرى إلى قسمين - اليونانيين والأجانب (البرابرة) - ونصحوا الإسكندر أن يعامل اليونانيين كأصدقاء أما البرابرة فيجب معاملتهم كأعداء ، وقال إنه يجب أن نبين الفرق بين الفضيلة والرذيلة ... لم يتجاهل الإسكندر نصحائه ، ولكنه أخذ بنصيحتهم وتصرف وفقا لها ، واضعا نصب عينيه نوايا الذين أرسلوا هذه النصائح [٣].

ويتبين من هذين الشذرتين كما يقول فلوتارخ إن الإسكندر لم يراع نصيحة أرسطو بأن يكون زعيما لليونانيين وسيدا للأجانب وأن يهتم باليونانيين كأصدقاء وأقارب وأن يعامل الأجانب كحيوانات ونباتات أى أن نصيحة أرسطو للملك الشاب أن يعامل الشعوب الأجنبية (البربرية) المهزومة كعبيد. وليس هناك غرابة فى موقف أرسطو لأنه كان وضعاً اجتماعياً سائدا وأيده أستاذه أفلاطون ،

---

[١] Plutarch, Moralia, IV, PP.397,399;And See Also : Ross, The Works of aristotle, XII,P.67 .

[٢] ايراتوسثينس (٢٧٥-١٩٤ ق.م) تلميذ كليماخوس وبعد أن قضى عدة سنوات فى أثينا وصلته دعوة من بطليموس الثالث ليكون معلما ملكيا ورئيسا لمكتبة الإسكندرية .

The Oxford Classical Dictionary , P.405 .

[٣] Strabo, Georgraphy, 1,PP.247,249;And See Also : Ross , Op.Cit, XII,P.67.

ولكن الإسكندر لم يأخذ بالتفرقة وكان أول من عهد لفترة وحدة الجنس البشرى الغرابة فى هذا النص أن أرسطو يوصى الإسكندر بأن يتخذ اليونانيين فقط أصدقاء له مع أن أرسطو نفسه لم يكن يونانيا خالصا وإنما هو فى الحقيقة نصف يونانى أو نصف بربرى . ولاشك أن موقف أرسطو هذا لم يشاركه فيه كل الناس وبالتأكيد لم يشاركه فيه معظم الفلاسفة [1]. ومن ثم فإنه وفقا لرواية سترابو أن ايراتوسثينوس يرفض رؤية أرسطو فى تقسيم الجنس البشرى إلى يونانيين وبرابرة ولكن من مثل أرسطو قد نصح الإسكندر بأن يعامل اليونانيين كأصدقاء والبرابرة كأعداء . وإذا افترضنا أن الشذرات الباقية من محاورة أرسطو " عن الملكية " هى فى واقع الأمر أجزاء من محاورة " إلى الإسكندر " فلاشك أن أرسطو قد قدم النصائح للإسكندر بشأن مهام منصبه كملك وأرشده كيف ينبغى عليه أن يحكم . ولقد كان لهذه المحاورة تأثير قوى على النفع للآخرين لدرجة أنه عندما كان يفشل فى أن يقدم النفع للآخرين كان يقول : اليوم لم أكن ملكا لأنى لم أقدم خيرا لأحد[2]. ويبدو أن أرسطو قد أدرك أن نصيحته للإسكندر قد تواجه معارضة شديدة من جانب فلاسفة آخرون ونصحاء ومستشارين للملك فقد وجه نصيحة أخرى للإسكندر يخبره فيها أنه يجب على الملك أن يستمع إلى الفلاسفة الحقيقيين ويأخذ بمشورتهم ، لأنه بفعل ذلك سوف يملأ عهده بالأعمال النبيلة وليس بالكلمات الجميلة [3]. ولذلك يجب التأكيد علىأن محاورة إلى الإسكندر وكذلك " عن الملكية " كانتا نبراسا للأمراء فقد نصح الإسكندر كيف يحكم بشكل جيد وكيف يتعامل مع شعوب وأجناس وثقافات مختلفة [4].

ان النصين فى الشذرتين متعارضان حيث يقول فلوتارخ إن الإسكندر لم يهتم بنصيحة أرسطو بينما يقول سترابو إن الإسكندر لم يهمل نصيحة نصحاؤه ولكنه أخذ بنصيحتهم وتصرف

---

[1] Choust, Aristotle, II, PP 25,26 .

[2] Ibid., II,P.26 .

[3] Ibdi., II,P.26 .

ويعلق أحد الكتاب العرب علىالعلاقة بين أرسطو والإسكندر بقوله : وكان أرسطاطاليس معلم الإسكندر الملك بن قليقومس بن الإسكندر المقدونى ، وبآدابه عمل فى سياسة رعيته وسيرة مملكته وانقمع به الشر فى بلاد اليونانيين وظهر الخير وفاض العدل ولأرسطاطليس إليه رسائل كثيرة جليلة يحضه فيها على السير لحرب دارا بن دارا ملك الفرس
أنظر : صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسى ، طبقات الأمم ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ٣٨ .

[4] Chroust, Op.Cit, II, P.26.

وفقا لها واضعا نصب عينيه نوايا النصحاء .ولكن يجب أن نقرر فى النهاية أن الإسكندر قد تجاهل نصيحة أرسطو سواء كان ذلك بسبب الانتهازية السياسية للإسكندر أو من حقيقة أنه فى السنوات الأخيرة قد انعدمت ثقة الإسكندر فى أرسطو [1].

على أية حال يمكن القول إن التأثير الأفلاطونى واضح تماما فى هذه الشذرات ، خاصة الآراء التى دونها أفلاطون فى محاورة الجمهورية حيث يقول : الدولة التى يحكمها ملك فيلسوف أفضل الدول وأسعدها ، والدولة التى يحميها رجل مستبد أتعس الدول وأشقاها [2]. وأن سعادة المدن وخلاصها من شرورها وبقاءها فى أن يصير الحكم للفلاسفة [3]. كما كانت لأفلاطون تجربة فريدة فى أن يشرف على تعليم وتثقيف ملك ليصبح ملكا فيلسوفا ، وقد قال إن الشرور لن تتوقف بالنسبة للبشر إلى أن يصبح الفلاسفة ملوكا أو يصبح الملوك فلاسفة [4]. وقد ذكر أرسطو نفس الأفكار فى كتابه السياسة عندما تحدث عن العلاقة بين الرئيس والمرؤوس بقوله : أنه ينبغى للرجل الفاضل السياسى أن يكون له فطنة الرئيس فهى وحدها فضيلة خاصة به إذ يبدو أن الفضائل الأخرى مشتركة ضرورة بين الرؤساء والمرؤوسين ، فالمرؤوس كصانع المزمار والرئيس هو المطرب الذى يستخدم المزمار [5].

وتعد هذه المحاورة " إلى الإسكندر " و محاورة " عن الملكية " هديتان من أرسطو إلى تلميذه الإسكندر عندما كان وليا للعهد ووصيا على عرش مقدونيا أثناء غياب والده فيليب أو عندما استقل الإسكندر بالعرش بعد مقتل والده ، غير أن العلاقة بينهما سرعان ما أصابها الفتور وتباعد الصلة بينهما منذ أن بدأ أرسطو يسدى النصح ويذكر الإسكندر الذى كان شابا يافعا مندفعا بأنه ينبغى عليه

---

[1] Chroust, Aristotle, II,p.297,n88.

[2] أفلاطون ، " محاورة الجمهورية " المحاورات الكاملة ، جـ١ ، ص ٤٤٠، ٤٤١ .

[3] نفس المصدر ، ص ٢٢٨ .

[4] Chroust, Aristotle, II, P.216 .

كان أفلاطون يبغى من تعليمه فى الأكاديميةهدفا سياسيا هو تكوين فئة من الفلاسفة المستعدين لنشر نظريات اجتماعية وسياسية فى أنحاء بلاد اليونان . وذكر فلوتارخ أن أفلاطون لم يترك لنا مجرد مذهب نظرى فى السياسة بل تعدى ذلك حين أخرج سياسيين ومشرعين أمثال ديون فى صقلية وبتون وهيراقليد فى تراقيا .

د.أميرة مطر ، الفلسفة عند اليونان ، ص ٢٨٥ .

[5] أرسطو ، السياسيات ، ص ١٢٥، ١٢٧ .

أن يتأنى وأن يتصرف باعتدال ، ولكن هناك روايات أخرى تسوق أسبابا أكثر قوة ولكن ربما أقل ثقة بأن العلاقة بين الرجلين قد وصلت إلى درجة القطيعة والعداء ، فينسبون إلى أرسطو أنه حاول دس السم للإسكندر انتقاما لمقتل ابن أخته الذى أعدمه الإسكندر بينما تنسب هذه الروايات أيضا إلى الإسكندر بأن فكرة قتل أرسطو قد داعبت خياله [1] .

---

[1] Chroust, Aristotle, II, PP.222,223.

ثالثا : فى الملكية

On Kingship

فى الملكية On Kingship

بقى من هذه المحاورة بضع شذرات تعتمد فى نقلها أساسا على ما جاء عند كل من روس وكروست .ولكن روس قد مهد للشذرات التى نقلت عن أرسطو ببعض الشذرات التمهيدية التى نقلها عن شيشرون وأمنيوس عن النصائح التى قدمها أرسطو للإسكندر ورأى ثيبومبوس فى تلك النصائح.

إننى غالبا عندما أحاول توجيه نصيحة لا أجد ما أقوله ؛ لأنى فى الواقع لدى كتب كل من أرسطو وثيبومبوس [1] الموجهة إلى الإسكندر .ولكن ما هو التماثل الموجود فيهما ؟ لقد كتبا ما يشرفهما وفى الوقت نفسه يعد مقبولا للإسكندر ؛ هل تجد أى شىء من هذا النوع هنا [2].

لا شىء يرد فى خاطرى ، إنك ترى ما كانت عليه النصيحة المرسلة إلى الإسكندر من رجلين بليغين ومتعلمين . إنهما يحثان الشاب المتوهج بالرغبة فى المجد الحقيقى بأن يسلك السلوك المشرف . إنهما يرغبان فى تقديم بعض النصائح التى تضاف إلى تمجيده الأبدى [3].

تلك الأعمال عبارة عن أعمال شخصية كتبت إلى بعض الأفراد بعينهم ، على سبيل المثال مثل الخطابات أوما كتبه أرسطو بناء على طلب الإسكندر المقدونى عن الملكية وعن الطريقة الصحيحة لإقامة المستعمرات [4].

---

[1] ثيبومبوس الخيوسى Theopmpus of Chios مؤرخ ولد حوالى سنة ٣٧٨ ق.م . تم نفيه إلى اسبرطة سنة ٣٣٤ ق.م بسبب تعاطفه مع اسبرطة ،وأعاده الإسكندر لمعارضته الاولجاركية المؤيدة لفارس . وبعد وفاة الإسكندر هرب ثيبومبوس الى مصر .

See : The Oxford Classical Dictionary, P.1059 .

[2] Cicero, XXII, Letters to Atticus, translated by , E.O.Winstedt , Harvard University Press, London, 1993, P.83, And See Also : Ross, Op.Cit, XII, P.65 .

[3] Ibid., P.165;And See Also : Ross, Op.Cit, XII, P.65 .

[4] Ross, Op.Cit, XII, P.65.

- ١ -

كتب أرسطو أيضا إلى الإسكندر عن الملكية ، فى كتاب من مجلد واحد يرشده كيف ينبغى عليه أن يحكم [١].

حتى تعم الفائدة كل الرجال كتب أرسطو كتابا موجها إلىالإسكندر عن الملكية ، يرشده فيه كيف ينبغى عليه أن يحكم ، وكان لهذا أثره على فكر الإسكندر لدرجة أنه عندما فشل فى أن يحقق الفائدة لأى فرد ، قال : اليوم لست ملكا ، فإنى لم أفعل خيرا لأحد [٢].

- ٢ -

كان أفلاطون رجلا ربانيا (سماويا) ومحبوبا فى كل الأمور وعلى الرغم من ذلك فقد كان متهورا جدا عندما نادى بهذه المقولة كأن الشرور لن تتوقف أبدا إلا عندما يصبح الفلاسفة حكاما، أو يصبح الملوك فلاسفة . لقد تم تفنيد هذه المقولة ، ونالت حظها من التفسير. ينبغى علينا أن نمجد أرسطو الذى عدل كلمات أفلاطون تعديلا طفيفا وجعل توصيته أكثر صدقا . قال أرسطو إنه لم يكن فقط من غير الضرورى أن يكون الملك فيلسوفا ، ولكن ، على الرغم من هذا النقص ، فإن ما يجب عليه أن يفعله هو أن يستمع إلى الفلاسفة الحقيقيين ويأخذ بنصيحتهم وبذلك يملأ حكمه بالأفعال الحميدة وليس بالكلمات الجميلة [٣].

ويبدو أن أرسطو قام بكتابة هذه المحاورة أثناء إقامته فى مقدونيا فى الوقت الذى أوشك على إتمام تعليم الإسكندر – إذا كان أرسطو قام بالفعل بتعليمه – ويبدو أن أرسطو كتب هذا النص فى الوقت الذى قام فيه الملك فيليب بتعيين ابنه الإسكندر الذى يبلغ ستة عشر عاما وصيا على عرش مقدونيا بينما كان فيليب مشغولا بالحرب فى تراقيا والبلقان فى سنة ٣٤٠ ق.م . وقد يقودنا التخمين إلى القول إن " عن الملكية " إنما هى دعوة أو نصيحة أكثر منها محاورة ، وأنه قد تم

---

[١] Ross, The Works of Aristotle, XII, P.65 .
[٢] Ibid., XII, P.65; And See Also : Chroust, Aristotlem II, P.26 .
[٣] Ibid., XII, P.66;And See Also : Chroust, Op.Cit, II,P.26 .

كتابتها بعد أن فرغ أرسطو من كتابة بروتربتيكيوس ، ويمكن أيضا أن يكون قد كتبها ليدحض بها عمل أيزوقراط " الخطب القبرصية " وذلك بحلول عام ٣٤٠ . كما أنه يمكن الافتراض أيضا أن أرسطو كان قد تخلى عن الصيغة الأدبية للمحاورة وهى الصيغة أو الصفة التى كانت مميزة لغالبية مؤلفات أرسطو المبكرة . كما أنه يمكن القول أيضا إن " عن الملكية " تشبه Mirror For Princes " مرآة للأمراء " . وفى هذا الشأن فقد واصل الخط التقليدى الذى يمكن اقتفاء أثره فى عمل هزيود " الأيام والأعمال " [١] .

إن اعتراضات أرسطو على مقولة " الملك الفيلسوف " أو تصويبه لها متوافقة تماما مع نظرية الواقعية المتزنة عن الحياة السياسية بصفة عامة وعلى المقتضيات العملية للمجتمع السياسى بصفة خاصة ، وعلى الرغم من أن أرسطو أثناء التحاقه بأفلاطون والأكاديمية(٣٦٧/٣٤٨ ق.م) فإنه بلا شك كان لا يزال معتنقا لآراء أفلاطون النظرية عن السياسة حيث يؤكد أرسطو فى كتابه السياسة على أن " الحاكم الجيد لابد أن يكون إنسانا حكيما ، وفى موضع آخر يشدد على أن الحكام ينبغى أن يفيدوا أنفسهم من نصيحة الآخرين ، ويعد ذلك فى نظر أفلاطون خطأ وخروجا عن النظرية الصحيحة [٢]. وفى البروتربتكيوس الذى يعد على شاكله " مرآة للأمراء " (الذى كتب حوالى ٣٥٠ ق.م) أشار أرسطو إلى العلاقة بين السياسة النظرية البحتة لأفلاطون والسياسة العملية التى تأخذ فى الاعتبار الظروف البشرية الحقيقية [٣].

إن نقد أرسطو لنظرية أفلاطون بأن الفلاسفة فقط يجب أن يكونوا ملوكا قد نشأ عن رأيه بأنه ينبغى على الحاكم الجيد أن يتفادى الأشياء المستحيلة والتى لا يمكن تطبيقها مثل تلك التى نادى بها أفلاطون فى عمله عن الجمهورية لقد أعلن أرسطو خلافه مع فلسفة أفلاطون السياسية موضحا بعض سماتها غير الواقعية وغير العملية . إن دولة المدينة المثالية فى نظر أفلاطون لم تعد بالنسبة

---

[١] Chroust, Aristotle, II, PP.216,216 .
ويقال أيضا إن كثيرا من المؤلفين الهيلينستيين الذين ناقشوا واجبات والتزامات الحاكم الواعى والمستنير ، كل هذه الدعوات قد تتضمن شذرات من محاورة أرسطو عن الملكية .
See : Chroust , Aristotle, II, P.431,n2 .
[٢] Ibid., II, P.217 .
[٣] Ibid., II, P.217.

لأرسطو هى المثال المقبول للدولة الفضلى [1]. ومن ثم يتساءل أرسطو هل ينبغى للدولة التى ينبغى أن تدبر شؤونها تدبيرا جيدا أن يشترك أفرادها فى كل ما يتاح الاشتراك فيه أو أن يشتركوا فى بعض الأشياء دون البعض الآخر ؟ فقد يتاح أن يشارك أفراد الأمة بعضهم بعضا فىالأولاد والنساء والمقتنيات ، كما نص عليه أفلاطون فى جمهوريته فهنا يرتئى سقراط وجوب شيوع الأولاد والنساء والأرزاق ، فهل الوضع الحالى أفضل أو ما سنه الشرع المدون فى الجمهورية الأفلاطونية [2]. ثم ينتقل أرسطو لمناقشة النظام السياسى الذى وصفه أفلاطون فى كتاب الشرائع . وقد علق أرسطو بقوله : فينبغى أن يتخذ المرء أساسا لشرعه ما يشاء ولكن ما يستحيل[3] علىأية حال لقد اختلف أرسطو كثيرا فى الرؤية السياسية مع أفلاطون سواء كان فى شكل الدولة أو المدينة وطريقة الدفاع عنها وأوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والتربوية وذلك من منطلق أن فلسفة أفلاطون غير واقعية وأنها تخلو من أية أهمية عملية ، وأن المدينة المثالية عند أفلاطون – مدينة الملك الفيلسوف – قد أقامها فى فراغ تاريخى أى أن أرسطو يرى أن أفلاطون يشيد مدينته الفاضلة فى نوع من الأماكن المثالية أو الخيالية [4].

إن علاقات وتجارب أرسطو الشخصية مع بعض السياسيين الناجحين مثل فيليب المقدونى أو هرمياس ملك اترانيوس هو الذى منحه الرؤية العميقة فى الحياة الساسية والاستراتيجية والدبلوماسية . وبما أن أرسطو قد أقام عند هرمياس فى الفترة ما بين ٣٤٨/٣٤٧ – ٣٤٥/٣٤٤ ق.م فإنه من الطبيعى أن تتطورأفكار أرسطو السياسية لتكون أكثر واقعية، وإن هذا التحول قد تلقى المزيد من الدعم والدفع أثناء الإقامة الطويلة والعلاقة الوثيقة مع الأسرة الحاكمة المقدونية حينئذ ربما يتضح أن عمل " عن الملكية " قد كتب فى حدود سنة ٣٤٠ ق.م وليس بعد ذلك بكثير أى أن أرسطو قد كتبه فى العام الذى عين فيه فيليب المقدونى ابنه الإسكندر وصيا على عرش مقدونيا [5].

---

[1] Chroust,Op.Cit, II, P. 218 .

[2] أرسطو ، السياسيات ، ص ٤٨ .

[3] المصدر نفسه ، ص ٦٦ .

[4] Chroust , Op.Cit, II, P.221 .

[5] Chroust, Aristotle, II, P. 222 .

وربما كان السبب فى كتابة هذه المحاورة أو النصيحة أن أرسطو قد استشعر القلق أو الخطر من تصرفات الإسكندر الشاب الذى يعرف شخصيته وطباعه ومكانته بشكل جيد أن يعتبر نفسه الملك الفعلى ذو المعرفة الواسعة والقدرة المطلقة وأنه ملك شبيه بالآلهة الذى يضاهى أو حتى يفوق " الملك الفيلسوف " الأفلاطونى الذى أحب رأى أفلاطون هو فى الحقيقة شبيه بالإله ، وهكذا كتب أرسطو بحذر إلى الأمير الشاب الطموح أنه ليس عيبا ألا يكون الملك فيلسوفا وأن ما ينبغى على الملك هو أن يستمع إلى الفلاسفة الحقيقيين ويأخذ بمشورتهم ، وقد يكون ذلك تلميحا للإسكندر أن يعتمد على نصح وتوجيه أرسطو [1].

[1] Ibid. II, P. 222 .